أحمد حسين

ووالد وما ولد

منشورات المكتبة العصريّة
صيدا - بيروت





صاحب الجلالة

الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود المعظم



صَاحِبُ السموّ الملكي

الامير فهد بن عبد العزيز آل سعود المعظم

ولي العهد، نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية



الأمير عبد الله بن عبد العزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

بسم الله الرحمن الرحيم

القاهرة في ٢٢ ربيع ثاني ١٣٩٥
٤ مايو ١٩٧٥

هذا كتاب كتبته وكان معدا للصدور منذ عام مضى ولكن« وما تشاءون الا أن يشاء الله » وقد شاءت ارادته سبحانه وتعالى ان لا يصدر الكتاب الا بعد أن يغلق كتاب فيصل ويسطر بدمه أروع صفحاته وان يحشر مع الصديقين والشهداء وحسن اولئك رفيقا ٠

ان فيصل أيا كانت عظمته فقد كان لا بد ان يموت.تلك سنة الحياة وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه وحبيبه وخير من حملت الارض واظلت السماء « انك ميت وانهم ميتون » ولولا موت عبد العزيز آل سعود لما كان فيصل الملك ٠

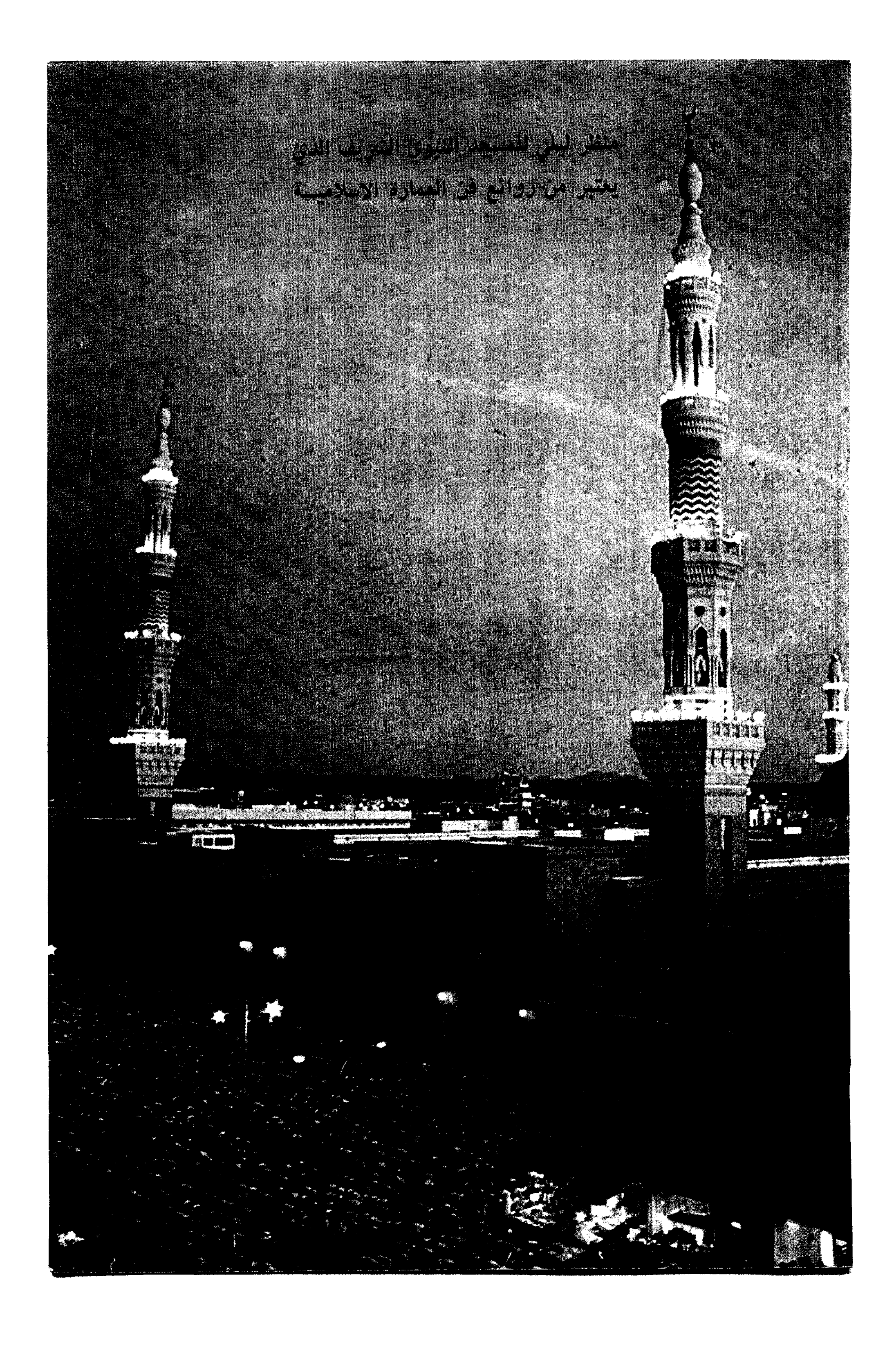
واذا كان الله قد شاء لي البقاء على قيد الحياة فلكي أشهد ما جرى وأضيف لبنة الى بناء هذه السيرة.سيرة عبد العزيز فها هي الايام تثبت انه لم يكن ملكا عظيما فحسب ، لا ولم يكن مؤسس دولة ، ولكنه كان باعث مجد الامة الاسلامية كلها كما دل على ذلك جنازة الملك الشهيد حيث جاء ملوك العالم كله ورؤساؤه او ممثلوهم ليسيروا في الموكب الحزين ، وحيث تملكتني الدهشة (انا شخصيا) وانا ارى كل اذاعات العالم ترثيه بل وتبكيه ،وانطلق صوت القرآن الكريم من كل اذاعات العالم من آمن به ومن لم يؤمن تكريما وتمجيدا ومواساة ومجاملة للمملكة العربية السعودية التي

أصبحت رمزا على زحف الاسلام في العصر الحديث • ولقد كان يخيل لاعداء العرب والمسلمين ان مثل هذه الضربة المجنونة الشيطانية التي تفقد المسلمين « فيصلا » سوف تهدم كيانهم وتعطل مسيرتهم ، فاذا بها لدهشة العالم كله تظهر مدى ما وصلت اليه المملكة العربية السعودية من قوة ومنعة فانما هي بضع ساعات كانت كافية لكي تعود الحياة الى سيرها ، وتستأنف القافلة رحلتها المظفرة ، ولا عجب في ذلك ، فان عبد العزيز العظيم هو الوالد الذي كان منه فيصل ، ومنه اليوم خالد وبقية الابناء الصالحين، وكلهم فروع لدوحة واحدة أصلها ثابت وفرعها في السماء •

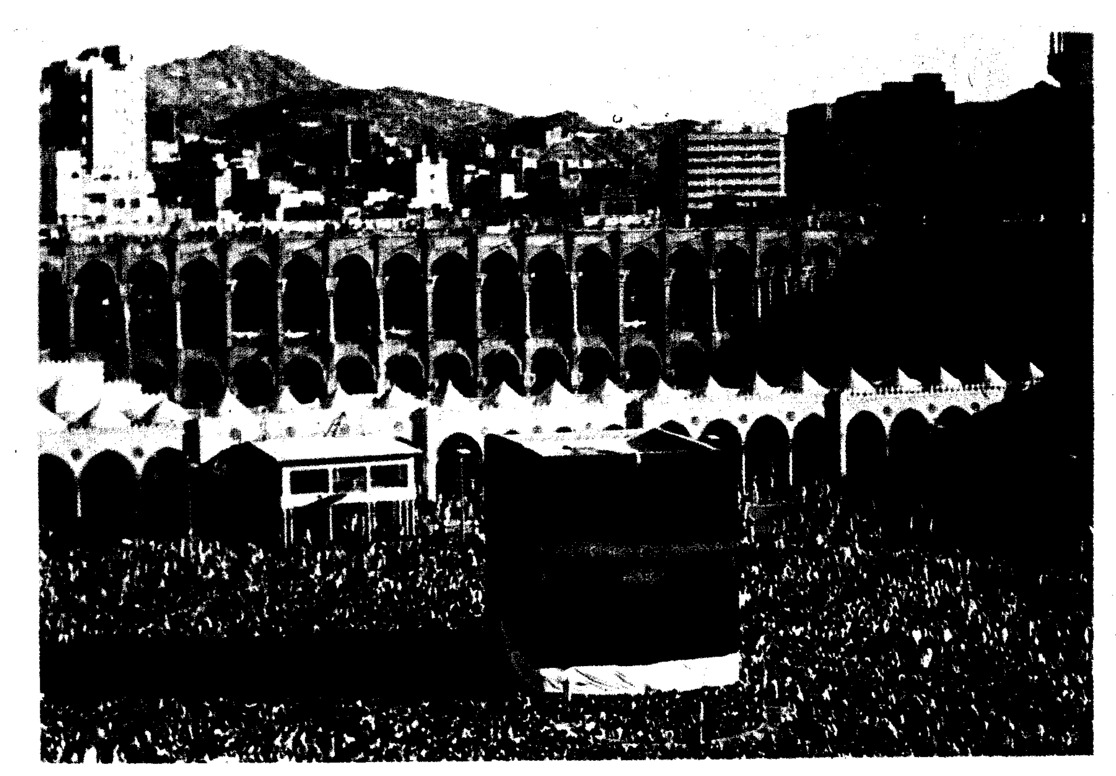
وبعد فقد أتيح لي في هذه السنة التي انقضت مذ فرغت من هذا الكتاب وسلمته لاخي الاستاذ شريف الانصاري لطبعه ان تتبلور في نفسي فكرة عن مستقبل الاسلام وكل ما يجري او يقع في العالم أصبح يؤكده في نفسي والقول ذو سعة ولكنني لا استطيع وانا في معرض الحديث عن عبد العزيز وفيصل الا أن أجمل هذا الذي يعتلج في نفسي في بضع كلمات ، لقد أصبحت أوثق من ان انطواء الجزيرة العربية على أكبر مخزون من الطاقة ليس شيئا قد حدث بالصدفة وانما هو أمر شاءه الله كما شاء ان يزود الجزيرة بهذا النفر من الامراء الامجاد سواء في الكويت او قطر او البحرين والامارات المتحدة وفي السعودية أولا وان يرتفعوا جميعا الى مستوى مسئوليتهم التاريخية.انني أرى في ذلك كله مشيئة الله في بعث المسلمين وعودتهم من جديد ليضطلعوا بدورهم القيادي في هداية البشرية والله ولي التوفيق •

احمد حسين

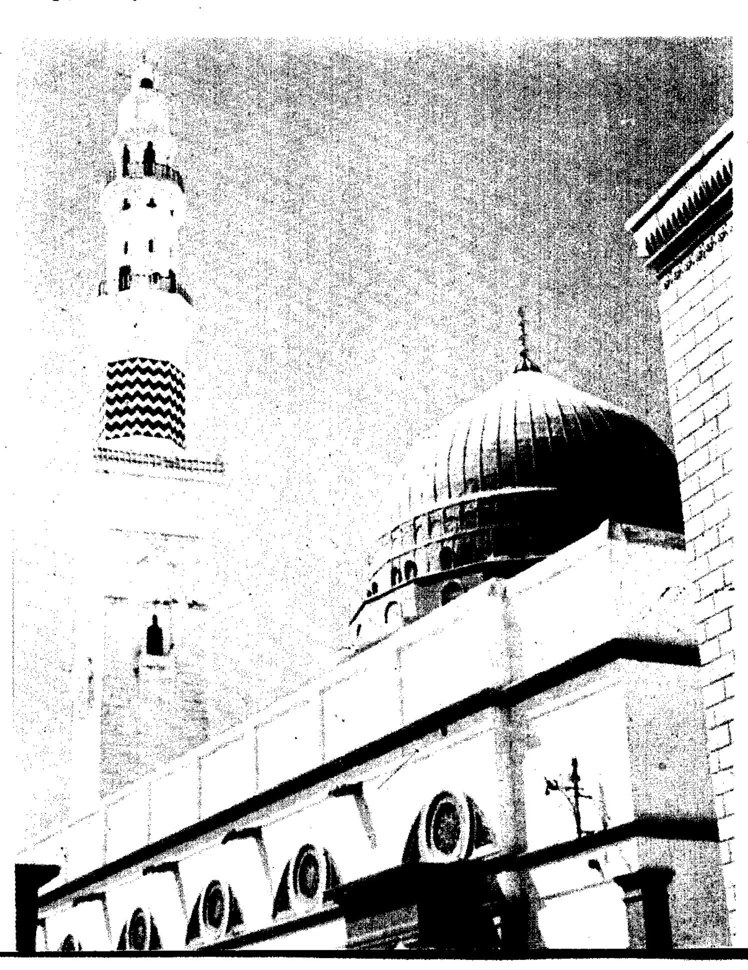
القاهرة ٣٦ شارع الروضة



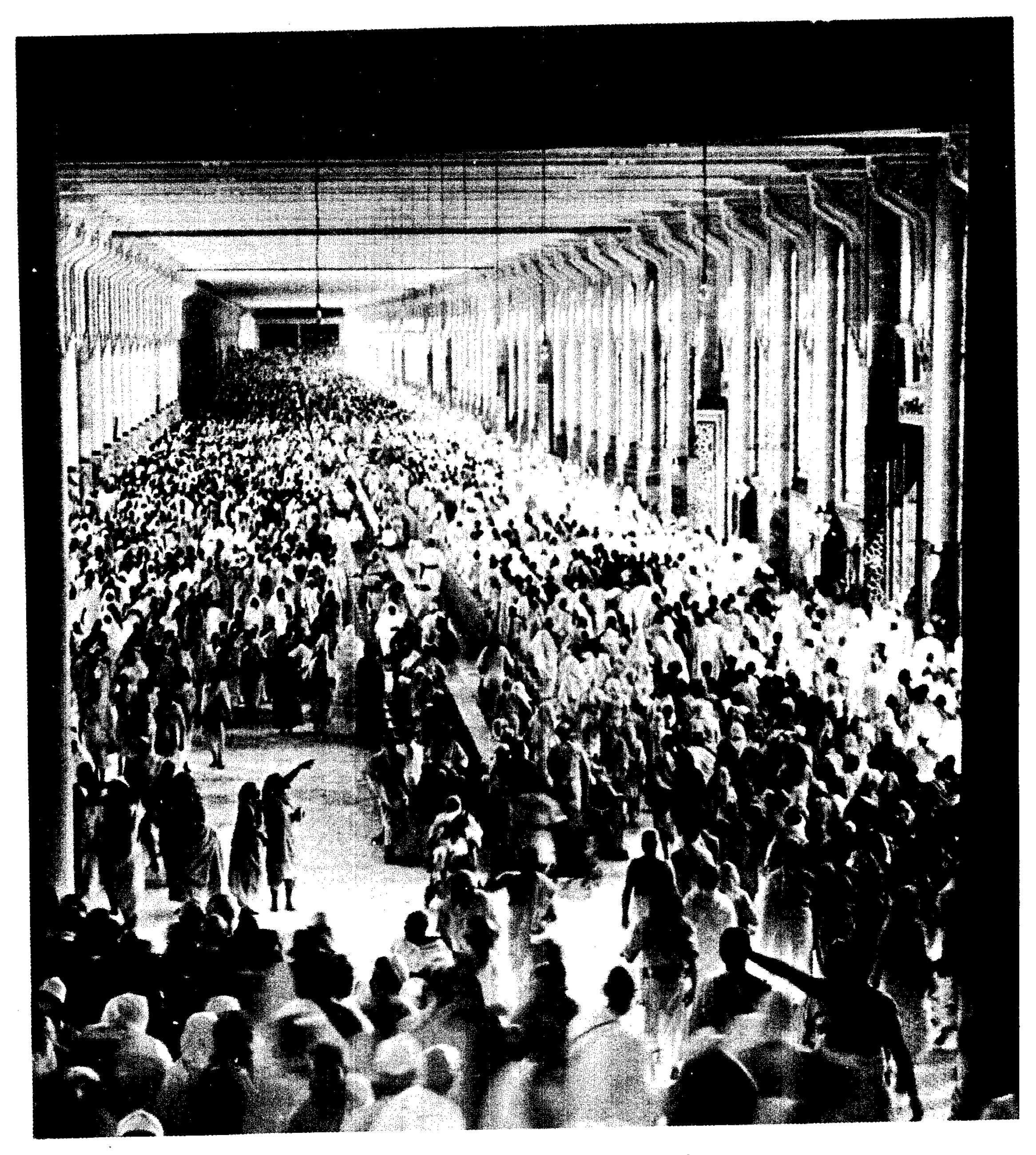
منظر ليلي للمسجد النبوي الشريف الذي
يعتبر من روائع فن العمارة الإسلاميـة



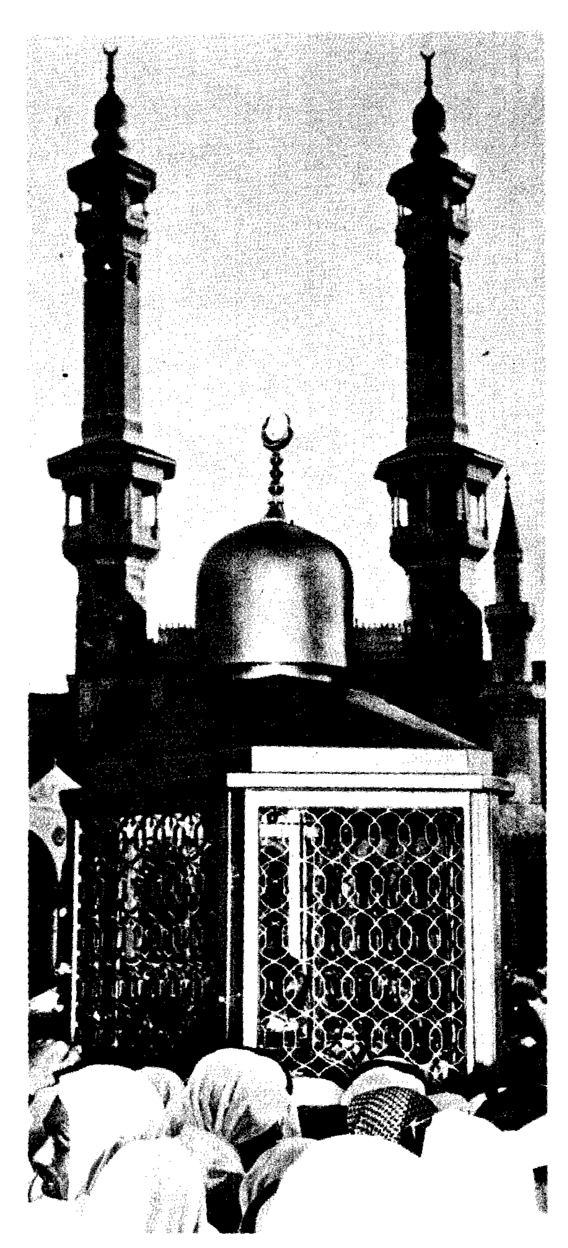
مكة المكرمة ـ الكعبة المشرفة



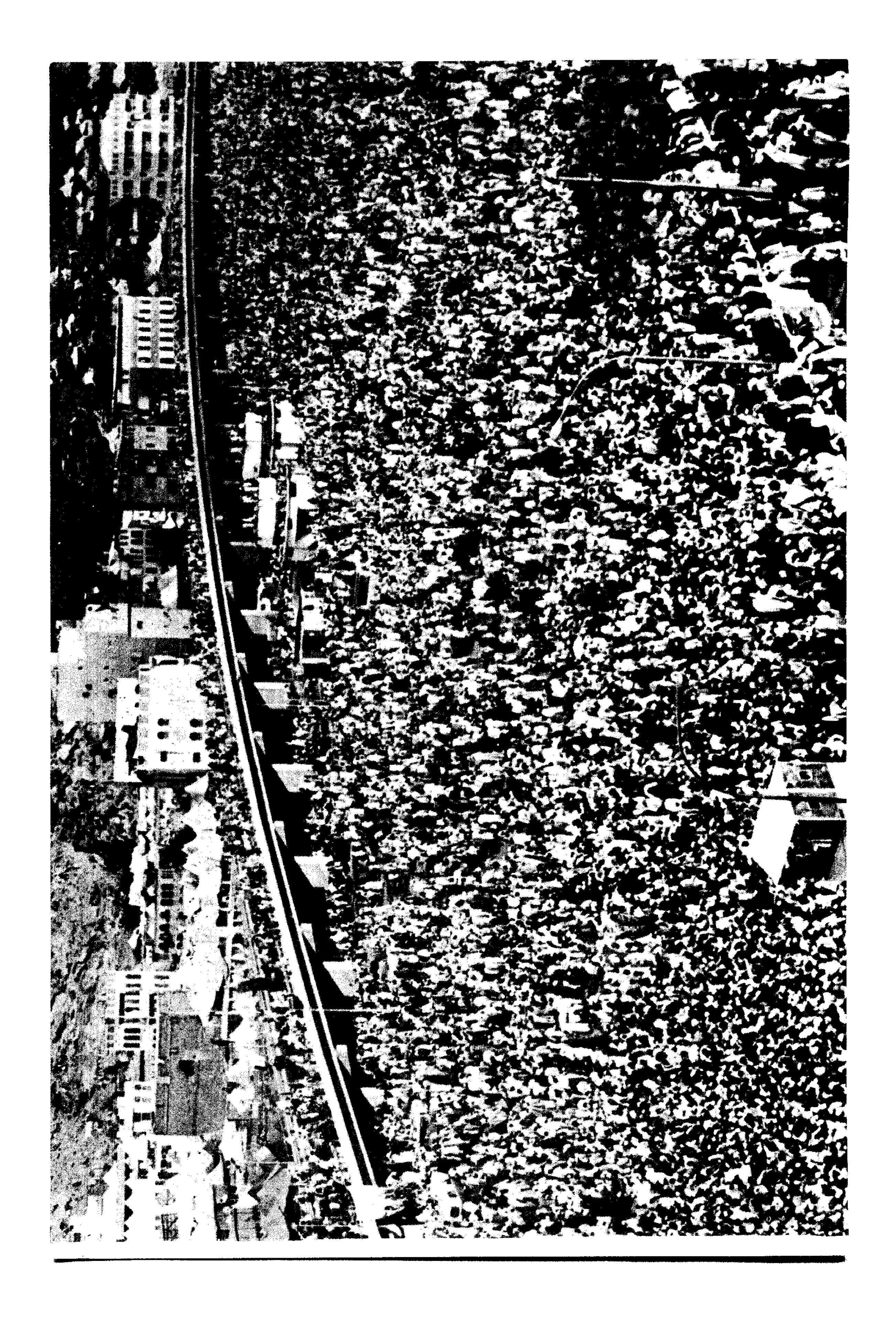
المدينة المنورة
المسجد النبوي ﷺ



الصفا والمروة بالمسجد الحرام بمكة المكرمة .



مقام إبراهيم بالمسجد الحرام في مكة المكرمة .



بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

ووالد وما ولد

أكتب هذا الكتاب بعد ان فرغت لتوي من كتابة كتاب عن محمد أنور السادات ، او بالاحرى شهادة لانور السادات . وليس هذا الكتاب الا شهادة لفيصل بن عبد العزيز آل سعود ، **فان ظروفي الصحية لا تمكنني من ان اؤلف كتابا وان كانت لا تحول بيني وبين الادلاء بشهادتي امام التاريخ .**

أما لماذا شعرت ان من واجبي ان ادلي بشهادتي امام التاريخ فذلك لكي اكفر عما ارتكبته من خطأ في حقيهما .

واذا كنت قد ظلمت انور السادات مرة ، فقد ظلمت فيصل مرتين. بيني وبين الشيخ محمود فايد :

وكان ظلمي الشديد للملك فيصل قد وقع مني خلال حوار جرى بيني وبين الشيخ محمود فايد ذلك العالم **الجليل المجاهد الذي يجود**

الزمان بمثله الحين بعد الحين ، راح الشيخ محمود فايد الذي يعمل الآن استاذا بجامعة المدينة المنورة ، يثني علـى الملـك فيصل • وعندما يتكلم الشيخ محمود فيجب ان نصغي ، وعندما يثني فيجب ان نصدق، ذلك ان كلامه لا يمكن ان يتسرب اليه ذرة من شك• انه لا يجامل فضلا عن انه لا ينافق، فقد رفع صوت الحق في وقت استطاع فيه الارهاب أن يخرسنا جميعا • وكان من نعم الله عليه وآياته بالنسبة لنا ان حماه ورعاه بطريقة معجزة • هذا هو الشيخ محمود فايد وهذه مكانته فـي نفسي ، ومع ذلك فلم يكد يثني على فيصل ، حتى كنت اقول له « اسمع يا شيخ محمود ، انت تعرف مكانتك الرفيعة في نفسي ، ولذلك ارجـوك ان تكف عن هذا الحديث ولا تعيده مرة أخرى، فمن كان مثلك في مكانته وتقدير الناس له فيجب ان ينأى بنفسه عن هذه المواضيع » ثـم رحت اقول ما لا محل الآن لذكره ، وهو ما ارجـو ان يسامحني الله عليه ، وما جئت بهذا الكتاب الا ليكون كفارة عنه •

كان هذا الحوار الذي جرى بيني وبين اخي في الله الشيخ محمود فايد في اغسطس من عام ١٩٧٣ اي في رجب ١٣٩٣ • ثم كان العاشر من رمضان (٦ اكتوبر) وزلزلت الارض زلزالها تحت اقدام الطغاة مـن بني اسرائيل ، وكان ما كان مما سأعود اليه فـي موضعه ، وفجأة وجدت الملك فيصل أحد اثنين اصبحا احب الناس عندي ، بعـد ان اجرى الله على ايديهما آياته ومعجزاته ، وأعني بالرجلين أنور السادات وفيصل بن عبد العزيز •

ولكي نتحدث عن فيصل يجب ان نعود الى الوراء لنتحدث عن أبيه • فمهما كان جمـال الشجرة عندما تورق وتزهر فهي ليست سوى

الثمرة الناضجة جذع الشجرة وجذرها • ولكي نكشف عن جذور الشجرة السعودية ، فلا مناص من الاشارة الى محمد بن عبد الوهاب ذلك المصلح الاسلامي الكبير الذي كان التقاؤه بالسعوديين خيرا وبركة لا على جزيرة العرب فحسب ، بل على العالم الاسلامي كله • والله وليّ التوفيق •

٣٦ شارع الروضة ـ القاهرة ١٩٧٤/٦/١٠

أحمد حسين

القسم الأول

نشأة المملكة العربيّة السُّعودية وتطوّرها



صاحب الجلالة

المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود

الفصـل الاول

تاريخ الحركة الاصلاحية

كان محمد بن عبد الله هو اول من احدث ثورة في جزيرة العرب لم تلبث ان انتشرت من الجزيرة حتى عمت الآفاق ، وما هو الا قرن من الزمان حتى عادت جزيرة العرب الى سابق عهدها فلم يعد لها شأن يذكر ، باستثناء منطقة الحرمين الشريفين حيث ظلا مقصد المسلمين من مشارق الدنيا ومغاربها لأداء فريضة الحج والزيارة . اما باقي اجزاء الجزيرة فقد عادت بالتدريج الى سابق العهد لا اهمية لها ولا خطر ، تسكنها قبائل تتعادى حينا وتتصالح حينا آخر ، يعيش بعضها على الزراعة المحدودة والبعض الآخر ـ وهو الفريق الاكبر ـ على الرعي ، ويعيشون جميعا على النهب والسلب ، تارة يغير هذا الجانب فيسلب ما عند الآخرين ، وتارة يغير الطرف الآخر فيسترد ما سلب منه في يوم من الايام بالارباح المركبة وهكذا دواليك .

وليس لما كان يجري في داخل جزيرة العرب تاريخ يتابع ذو قيمة

او ذو عناء ، ولكننا اذا رجعنا الى القرن الثانـي عشر الهجري وجدنـا بعض المؤرخين النجديين كابن بشر وابن غنام يحدثوننا عما وقع فـي ايامهم وشاهدوه بأعينهـم ، وما كتبوه يصور لنا ان قلب الجزيـرة قد نكس على رأسه ، وعاد الى ايـام الجاهلية الاولى ، وسادت الهمجيـة والبربرية ، فالعلماء يقتلون لا لذنب الا لانهم علماء ، ثم لا يكتفى بقتلهم بل يعذبون اشد العذاب ، فأهل احدى القرى بعد ان فتكوا بمن عندهم من العلماء ، عمدوا الى عالم جليل مكفوف البصر وقتلوه ثم صلبوه منكسا ، ووضعوا الحبل في رجليه وادلوا رأسه الى الارض وفيه رمق يتردد • وليس لهذه القسوة من تعليل الا انتزاع كل اثر من آثار الايمان او العلم من قلوبهم ، فالمرأة العقيم تطوف بحجر او شجر او قبر وتتقرب لها بالقرابين فتذبحها ثم تتمسح بدم الذبيح كي ترزق بالولد • والتاجر يبخر دكانه بظفر حيوان ووبره استجلابا للرزق ودفعا للحسد ، واصبح التداوي لا سبيل له الا ارضاء الجن بالذبح لها ووضع الطعام لها في زوايا البيوت واستجلاب رضاها ، وليس من يجرؤ على تبصير الناس بما هم فيه من وهم وضلال ، فقد قتل او ذبح كل من حدثته نفسه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر •

في وسط هذا الجو ولد محمد بن عبد الوهاب ، وكانت ولادته في عام ١١١٥ هـ الموافقة ١٧٠٢ م اي منـذ قرنين ونصف قرن تقريبا ، وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب بن سليمان قاضي بلـدة العيينة ، وكان شيخا عالما جليل القدر ، فقرأ محمد بن عبد الوهاب علـى ابيه الفقه ، وسرعان ما ظهرت عليه علائم النجابـة ، فكان دائم المطالعة فـي كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في اصل الاسلام ، وبدأ يدرك علـى الفور ما تردت فيه البادية من همجية وردة عـن دين الاسلام ، وبدأت تجيش نفسه بما تجيش به نفس كل مصلح من عزم علـى تغيير هـذه

الحالة . فلما بلغ من العمر عشرين ربيعا بدأ يستخدم فصاحته وعلمه في مناقشة أندادهوأضرابه، بلومن هم أكبر منه سنافي ما آلت اليه احوال البلاد فلم يجدمنهم أذناصاغية لخوفهم، بل على العكس وجد منهم الهزء والسخرية بمحاولاته الفاشلة والتي وصفوها بالطائشة ، فما هو الا ان ضاقت به العيينة فانتهز فرصة موسم الحج فشد الرحال الى مكة ، فلما قضى حجه سار منها الى المدينة ، وهناك قيض له ان يلتقي ببعض العلماء الاجلاء الذين وجد عندهم شفاء ما في نفسه وموافقة لما في فكره من وجوب استنكار ما عليه مواطنوه في البادية من بدع ومنكرات . فعاد مرة ثانية الى نجد ، ولكن حظه هذه المرة لم يكن بأوفر من حظه قبل سفره منها ، فرأى ان يهاجر الى الشام ، فاستقر في طريقه اليها باحدى قرى مدينة البصرة ، ولكن لم يكد يعرف عنه افكاره عما تفشى بين المسلمين من تمسك بالبدع والضلالات وتوسل بالاولياء وتمسح بقبورهم ، حتى اجتمع عليه رؤساء البصرة وعامتهم فأخرجوه منها في يوم شديد الحر وليس لديه ما يمتطيه سوى قدميه ، ولا من غذاء أو شراب ، وتوعدوه بالموت ان هو عاد الى المدينة ، فلم يسعه الا أن يرحل الى بلدة الزبير فكاد يهلك في الطريق من شدة العطش لولا ان قيض الله له من انقذه .

واذا كانت بلاد الارض كلها قد تساوت في اظهار العداوة والبغض للشيخ ، فقد اعتزم ان يعود الى نجد مرة اخرى . وبعد صعوبات ومشقات جديدة استقرت به النوى مرة اخرى في بلدة العيينة بعد ان تعاهد مع رئيسها عثمان بن حمد بن معمر على ان ينصره ويحميه ويساعده على محاربة الضلالات والاوهام ، وتعليم الناس التوحيد وتطهيرهم من ادران الشرك ، فتلقاه الرجل بقبول حسن ، وأصهر اليه فتزوج الجوهرة بنت عبد الله بن معمر ، وبدأت احواله بذلك تستقيم ويشتد ساعده ، فانتقل من مرحلة

الانكار بالقول واللسان الى الانكار باليـد ، فكان في العيينة اشجار تعظم ويعلق عليها العرب تقديسا لها وتكريما وتعبدا ، فبعث الشيخ الى هذه الاشجار من يقطعها سرا فقطعت .

وكان في البلدة شجرة كبيرة هي اعظمها قدرا ، خاف الجميع ان يقربوا منها ، فخرج لها بنفسه سرا ليقطعها ، فوجد عندهـا راعي غنم اهل البلد ، فأراد ان يمنعها منه فأغراه الشيخ بان اعطاه بعض ملابسه التي يرتديها ، فخلى الرجل بينه وبينها فقطعها ، فلما لم يصب بشيء بدأ امره يشتد ويقوى ، فتجمع حوله على ما يقول ابن بشر مؤرخ نجد سبعون رجلا ، مـن بينهم بعض رؤساء المعامرة ، وعاهدوه علـى ان يكونوا معه يدا واحدة في محاربة المنكرات والبدع .

واني ادع القول الآن لابن بشر ليحدثنا عـن تاريخ تطور حركـة محمد بن عبد الوهاب بعد ذلك في اوجز عبارة وابلغها واصدقها . قال :

« ثم ان الشيخ أراد أن يهدم قبة قبر زيد بـن الخطاب رضي الله عنه التي هي عند (الجبيلة) فقال لعثمان بن معمر : دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل وضل بهـا الناس عـن الهدى ، فقـال دونك فاهدمها ، فقال الشيخ اخاف من اهل الجبيلة ان يوقعوا بنا ولا استطيع هدمها الا وانت معي ، فسار معه عثمان بنحو ستمائة رجل ، فلما قربوا منها ظهر عليهم اهل الجبيلة يريدون ان يمنعوهـا ، فلما رآهـم عثمان علم ما هموا به فتأهب لحربهم وامر جموعه ان تنعزل للحرب ، فلما رأوا ذلك كفوا عن الحرب وخلوا بينهم وبينها . ذكر لي ان عثمـان لما اتاها قال للشيخ : نحن لا نتعرض لها ، فقال : اعطوني الفأس فهدمها الشيخ بيده ، حتى ساواها ثم رجعوا ، فانتظر تلك الليلة جهال البدو وسفهاؤهم ما يحدث للشيخ بسبب هدمها ، فاصبح في احسن حال » .

رجم الزانيـة :

وبعد ذلك اتت امرأة الى الشيخ واعترفت عنده بالزنى والاحصان،

وتكرر منها الاقرار ، فسأل عن عقلها فاذا هي صحيحة العقل ، فقال لها لعلك معطوبة فأقرت واعترفت بما يوجب الرجم فأمر عليهـا فرجمت ، فعظم امره بعد ذلك وكبرت دولته ، وفشا التوحيـد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولما صدرت منه هذه ، اعني رجم المرأة ، اشتهر امره في الآفاق ، فبلغ خبره سليمان بن محمد قائد الاحساء والقطيف ومـا حوله من العربان ، وقيل له : ان في بلدة العيينة عالما فعل كذا وكذا ، فأرسل سليمان الى عثمان كتابا وقال ان هـذا المطوع الذي عندك فعل كذا وكذا ، وتهدد عثمان وطلب منه ان يقتل محمد بن عبد الوهاب ، وقال له : فان لم تفعل قطعنا خراجك الذي عندنا في الاحساء ، وخراجه عندهم كثير قيل لي انه اثنتا عشرة مائة احمر وما يتبعها من طعام وكسوة .

فلما ورد كتابه على عثمان بن معمر لم يسعه ان يخالفه، واستعظم امره في صدره ، فأرسل الى الشيخ وقال له : انه اتانا خط من سليمان قائد الاحساء وليس لنا طاقة بحربه ولا اغضابه ، فقال له الشيخ : ان هـذا الذي قمت به ودعوت اليه كلمة لا اله الا الله واركان الاسلام والامر بالمعروف والنهي عـن المنكر ، فان انت تمسكت بـه ونصرته فان الله سبحانه يظهرك على اعدائك ، فلا يزعجك سليمان ولا يفزعـك ، فاني ارجو ان ترى من الظهور والتمكين والغلبة ما ستملك بلاده وما وراءها وما دونها ، فاستحيا عثمان وأعرض عنه ، ثم تعـاظم فـي صدره امر صاحب الاحساء وباع الآجل بالعاجل ، وذلك لما فـي علم الله سبحانه وتعالى الذي يعلم السر واخفى ، يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير . ان نصر هذا الدين والظهور والغلبة والتمكين يكون لغيره وعلى يد غيره ، فأرسل الى الشيخ ثانيا وقـال ان سليمان امرنا بقتلك ولا نقدر على غضبه ولا مخالفة امره لانه لا طاقة لنا بحربه، وليس من الشمم والمروءة ان نقتلك في بلادنا ، فأمر فارسا عنـده يقال له الفريد مع خيالة معه منهم طوالة الحمراني ، وقـال : اركب جوادك

وسر بهذا الرجل الى ما يريد ، فقال الشيخ : اريـد الدرعية ، فركب الفارس جواده والشيخ يمشي راجلا امامه ، وليس معه الا المروحة وذلك في غاية الحر في فصل الصيف ، فقال ابن معمر لفارسه اذا انت وصلت الى اخيه يعقوب فاقتله عنده ، وكان يعقوب هذا رجلا صالحا قتل ظلما بين الدرعية والعيينة ، وجعل في غار جبل هناك علـى قارعة الطريق ، فسار الفارس والشيخ امامه وهو لا يلتفت ويلهـج بقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه مـن حيث لا يحتسب) وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ، والفارس لـم يكلمه ، فلما هم بقتله كف الله عنه يده وأبطل كيده ، وقذف الله سبحانه في قلبه الرعب حتى ما استطاع ان يمشي قدما ، فحرف جواده وانصرف الى العيينة . وقال لعثمان انه اصابني رعب عظيم حتى خفت على نفسي (١) .

واما الشيخ فانه سار الى الدرعية فوصل الى اعلاها وقت العصر ،

---

(١) هذه الحادثة التي ذكرها المؤلف اعتمادا منه على مـا ذكره ابن بشر ليست صحيحة ، فقد جاء فـي كتاب « محمد بن عبد الوهاب » للاستاذ احمد عبد الغفور عطار (الطبعة الرابعة ، صفحة ٥٧ — ٦٠) ما نصه : «في كتاب« عنوان المجد » لابن بشر ج ١ ص ١٥ طبعة مطبعة الشبندر ببغداد سنة ١٣٢٨ هـ التي اشرف على تصحيحها العلامة الشيخ محمد بن نافع مانصه : « واعلم رحمك الله اني قد ذكرت في المبيضة الاولى اشياء نقلت لي عن عثمان بن معمر وفرسانه وانه امر بقتل الشيخ في الطريق ، وغير ذلك ، ثم تحقق عندي أن ليس لها اصل بالكلية فطرحتها من المبيضة » .

ويكفي هذا لنفي ما نسب الى عثمان بن معمر ، فابن بشر هو نفسه نفاه نفيا بعد ان تحقق لديه عدم صحته ، وهناك ادلة وبراهين ووقائع صحيحة تثبت ان ما نسب الى ابن معمر لا صحة له ، وان ابن معمر كان مخلصا للدعوة وقاد جيوشها .

الناشر

شريف الأنصاري

فقصد الى بيت محمد بن سويلم العريني ، فلما دخل عليه ضاقت عليه داره وخاف على نفسه من محمد بن سعود ، فوعظه الشيخ وأسكن جأشه ، فزاروه خفية فقرر لهم التوحيد واستقر في قلوبهم ، فأرادوا ان يخبروا محمد بن سعود ويشيروا عليه بنصرته فهابوه ، فأتوا الى زوجه معرض بنت ابي وهطان وكانت ذات عقل ومعرفة ، فأخبروها بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به وينهى عنه ، فوقر في قلبها معرفة التوحيد وقذف الله في قلبها محبة الشيخ ، فلما دخل عليها زوجها محمد اخبرته بمكانه ، وقالت ان هذا الرجل اتى اليك وهو غنيمة ساقها الله لك فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته ، فقبل قولها والقى الله سبحانه في قلبه للشيخ المحبة ، فأراد ان يرسل اليه ، فقالوا سر اليه برجلك في مكانه ، وأظهر تعظيمه والاحتفال به ، لعل الناس ان يكرموه ويعظموه .

فسار اليه محمد فدخل عليه في بيت ابن سويلم ورحب به وقال: أبشر ببلاد خير من بلادك وأبشر بالعز والمنعة ، فقال الشيخ : وانا أبشرك بالعز والتمكين ، وهذه كلمة (لا اله الا الله) من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد وهي كلمة التوحيد ، وأول ما دعت اليه الرسل من أولهم الى آخرهم ، ثم اخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دعا اليه وما عليه اصحابه رضي الله عنهم من بعده ، وما أمروا به وما نهوا عنه ، وان كل بدعة بعدهم ضلالة وما أعزهم الله به بالجهاد في سبيل الله وأغناهم به وجعلهم اخوانا ، ثم اخبره بما عليه اهل نجد اليوم من مخالفتهم بالشرك بالله تعالى والبدع والاختلاف والجور والظلم ، فلما تحقق محمد بن سعود معرفة التوحيد وعلم بما فيه من المصالح الدينية والدنيوية قال له : يا شيخ ان هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه ، وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به ، والجهاد لمن خالف التوحيد ، ولكن اريد ان اشترط عليك اثنتين ، نحن

اذا اقمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان، اخاف ان ترتحل عنا وتستبدل بنا غيرنا ، والثانية ان لي على الدرعية قانونا آخذه منهم في وقت الثمار ، وأخاف ان تقول لا تأخذ منهم شيئا ، فقال الشيخ اما الاولى فابسط يدك ، الدم بالدم والهدم بالهدم ، واما الثانية فلعل الله ان يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها ، ثم ان محمدا بسط يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله ، واقامة شرائع الاسلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده فتسلل اليه شيعته الذين في العيينة ومن ينتسب الى الدين ومعهم أناس من رؤساء المعامرة معاكسين لعثمان بن معمر وهاجروا الى الدرعية واناس ممن حولهم من البلدان لما علموا ان الشيخ استقر ومنع ونصر •

ولما استوطن الشيخ الدرعية وكانوا في غاية الجهالة وما وقعوا فيه من الشرك الاكبر والاصغر ، والتهاون بالصلاة والزكاة ورفض شعائر الاسلام فدعاهم الشيخ الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم أمرهم بتعلم معنى (لا اله الا الله) وانها نفي واثبات (فلا اله) تنفي جميع المعبودات (والا الله) تثبت العبادة لله وحده لا شريك له ، ثم أمرهم بتعلم ثلاثة الاصول : وهي معرفة الله تعالى بآياته ومخلوقاته الدالة على ربوبيته ، كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والسحاب المسخر بين السماء والارض وما عليها من الادلة من القرآن ، ومعرفة الاسلام انه تسليم الامر لله وهو الانقياد لامر الله ، والانزجار عن مناهيه ، ومعرفة أركانه التي بني عليها ، وما عليها من الادلة من القرآن ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم واسمه ونسبه ومبعثه وهجرته ، ومعرفة أول ما دعا اليه وهي (لا اله الا الله) ، ثم معرفة البعث وأن من أنكره أو شكّ فيه فهو كافر ، وما على ذلك من الادلة من

القرآن ، ومعرفة دين محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو التوحيد ، ودين ابي جهل واتباعه ، وهو الشرك بالله تعالى .

فلما استقر في قلوبهم معرفة التوحيد بعد الجهالة اشرب في قلوبهم محبة الشيخ ، وهاجر اليه الناس من كل فج عميق . انتهى .

تلك هي قصة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما بدأت والتي لم تكمل حتى الآن . فلا يزال احفاد سعود ومحمد ابنه يحملون لواء التوحيد وينافحون عنه ، واذا كان العالم الاسلامي كله اليوم تحت تأثير النور والعرفان قد بدأ يدرك بفطرته هذا الذي دعا اليه محمد بن عبد الوهاب ويميل اليه ويتعشقه ، فسيظل التاريخ يسجل الفضل لآل سعود الذين كانوا اول من نصره واستجاب له ، واحتملوا في سبيل ذلك ما احتملوه من عنتومن ارهاق ، مما سنعرض له في الفصول المقبلة .



الفصل الثاني

حديث محمد بن عبد الوهاب والسعوديين

تركنا في حديثنا السابق الامام محمد بن عبد الوهاب ، وقد التجأ الى محمد بن سعود في الدرعية ، فحماه وآواه ، ثم شرع الاثنان معا يشنان الغزوات على ما يحيط بهما من بلاد وقبائل وامارات لنشر دين التوحيد ومحاربة البدع والضلالات والمنكرات ، فتصدى لهما امير الرياض دهام بن دوس وعريعر امير الاحساء ، ودارت الحرب بينهما ضروسا وسجالا طوال ربع قرن انتهت بانتصار الامير السعودي ومحمد بن عبد الوهاب ، فدانت لهما الرياض بالطاعة بعد قتل اميرها ، ودخل الاحساء في حكمهم ، وفي هذه الاثناء مات محمد بن سعود وخلفه ابنه عبد العزيز ، وهو القائد المغوار الذي قام بعبء الحرب ايام ابيه ، فسار سيرته وزاد عليها ما اشتهر به من تقشف وبساطة وتواضع ، حتى كان لا يفرق بينه في الملبس والمأكل وبين اصغر فرد من رعاياه .

وفي ايامه بدأ امراء العراق من آل السعدون يتصدون لحربه ، فانتصر عليهم في عدة معارك حربية كان اهمها عندما دخل جيشه الى مدينة كربلاء فأوقع

بها وقيعة عظيمة ، وهدم ما بها من قباب عزيزة علـى نفوس الشيعة .
ومن الناحية الاخرى دخل في حرب مع الشريف غالب أمير مكة فهزمه ،
ودخلت جيوش عبد العزيز الى الحجاز اكثر مـن مرة فدان له . ولكن
الشريف غالب كان يعود بمساعدة جيوش الاتراك فيسترد مكـة ثانيـة .
وفي سنة ١٢١٨ هجرية (١٨٠٣ ميلادية) قتـل عبد العزيـز وهـو قائم
يصلي في مسجد الطريف ، وكان محمد بن عبد الوهاب قـد مات من
قبل في سنة ١٢٠٦ هجريـة فظن ان حركة البعث والاصـلاح قد خبا
نورها بوفاة هذين الرجلين العظيمين ، ولكن الشجرة اذا ثبتت اصولها
في الارض لا يبقى عليها الا ان تنمو وتثمر . وهكذا فقـد اثمرت هـذه
الجهود الجبارة واتت اكلها في عهد سعود بن عبد العزيز ، والذي أطلق
عليه التاريخ بحق لقب سعود الكبير ، وقد كان كبيرا لم يسبقه من آل
سعود سابق ولم يخلفه مماثل الا ان يكون الملك عبد العزيز آل سعود،
فهو وحده الذي فاق الاولين والآخرين في عظيم فعـاله وتثبيت دعـائم
ملكه .

على أن سعود الكبير كـان اول مـن دانت لـه جزيـرة العرب ،
باستثناء اليمن في هـذا الوقت البعيد ، وقد كـان بطلا مغوارا يكره
الالقاب ويمقتها فلا يسمح لاحد أن يناديه الا باسمه المجرد « سعود »
وكان متواضعا وكان صارما الى حـد القسوة فـي نفس الوقت ، رأى
ان يقر الامن في ربوع الجزيرة وأن يبسط سلطانه وهيبته على البادية ،
فقيل عنه انه زج بعض زعماء قبيلة مطير لجرائم ارتكبوها في السجن ،
فجاء وفد من أمراء هذه القبيلة يطالب بالافراج عنهم ويلوح في رجائه
واستعطافه بما عليه قبيلة مطير مـن قوة الشكيمة والعزة ، وانهـم لا
يرضون بالزج بأمرائهم في السجن . فما كان من سعود الكبير الا انه
امر بقتل السجناء والاتيان برؤوسهم فـي طست عندما يمـد سماط
الطعام ، فبهت الزعماء وانعقدت ألسنتهم من الرعب والخوف وواصلوا

تناول الطعام وهم لا ينبسون ببنت شفة خوفا من ان يكون مصيرهم كمصير من جاءوا لاخراجهم •

ونحن في العصر الحديث لا نستطيع بطبيعة الحال ان نستسيغ مثل هذه القصص ، ولكن روح البادية وروح العصر الماضي كانت تجيز امثال هذه التصرفات الصارمة تحقيقا للامن واالسلام •

ودخل سعود الى الحجاز غازيا في عام ١٢٢١ هـ وعين الشريف غالب ، الذي طالما قاوم السعوديين نائبا عنه على الحجاز ، بعد ان اخذ عليه العهود والمواثيق ان يحكم بكتاب الله وسنة رسوله • وقد أعطى الشريف غالب العهد على نفسه حرصا على منصب الامارة ، ولكنه لم يف بما عاهد عليه ، بل راح يكاتب السلطان محمود ويستعديه على سعود ويخوفه على ملكه من اطماع سعود ، ويذكره بان خطوته الثانية ستكون هي الانقضاض على الشام والعراق خاصة ، وقد غلب سعود على بادية الشام والعراق بالفعل ، ويأخذ الشيخ حافظ وهبه في كتابه جزيرة العرب على سعود الكبير اشتطاطه الكبير في معاملة المصريين والاتراك ، وكيف حال بينهم وبين اداء فريضة الحج فترة طويلة من الزمن بدعوى ما في ركب المحمل المعتاد من بدع وضلالات •

وكيفما كان الامر فقد اسرع السلطان محمود الخليفة العثماني ، الذي كان يستمد سلطانه الروحي من كونه زعيم المسلمين وحامي الحرمين ، الى محمد علي يستعين به على حرب سعود واعادة الحجاز الى سلطان الخليفة الروحي ، فأصدر الى محمد علي فرمانا بتوليته الحجاز في سنة ١٢٢٢ هـ • ولكن محمد علي لم يتحرك الى غزو الحجاز الا بعد ذلك بأربع سنوات كاملة بعد ان فرغ من المماليك في مذبحة القلعة الشهيرة ، وبعد ان اكمل استعدادات الحملة المصرية المسافرة الى الحجاز بما في ذلك صنع المراكب والسفن اللازمة لنقلهم • وسارت

الحملة في عام ١٢٢٦ بقيادة طوسون بن محمد علي فوصلت الى المدينة اول ما وصلت ، ولكنها لم تلبث ان ابيدت فلم ينج منها الا عدد قليل ، ولكن النجدات اسرعت من مصر لنجدة طوسون فعاد الى الانتصار على الوهابيين ، ودخل الى مكة وتسلم مقاليد الامور ومفاتيح الكعبة والحجرة الكريمة فأرسلها الى ابيه الذي ارسلها بدوره الى السلطان مع كتاب يبشره بدخول الحرمين من جديد تحت طاعته ، ولكن جيوش سعود لم تلبث ان ضربت الجيوش المصرية ضربة قاصمة عندما حاولت ان تتعقبها في نجد ، فأسرع محمد علي الى الحجاز بشخصه وحج بيت الله الحرام وأعد العدة لاستئناف الهجوم بعد اداء فريضة الحج ، وأسرع القدر لنجدته وكان نجم محمد علي في هذه الفترة في صعود فتوفي سعود الكبير فلم يعد الامر في حاجة الى بقاء محمد علي بنفسه.

تولى عبد الله بن سعود الكبير الامارة بعد ابيه ولكنه لم يكن في قدرة ابيه او قوة شكيمته ولذلك فقد آثر ان يعقد مع طوسون هدنة، في وقت كان الجيش المصري في اشد الحاجة الى الراحة ، فكانت هذه الهدنة على ما يقول بعض المؤرخين بمثابة نجدة الهية للجيش المصري وتصرف غير حكيم لعبد الله .

وعاد طوسون بعد هذه الهدنة الى مصر حيث مات بها ، وارسل محمد علي ابنه ابراهيم مع جيش جرار ، وهذا هو الجيش الذي سار واخترق جزيرة العرب كلها حتى وصل الى الدرعية فحاصرها حصارا مرا دام خمسة اشهر كاملة ، ثم لم يلبث ان أصلى الدرعية نارا حامية فهدمها وخربها ، فخرج منها عبد الله بن سعود وسلم نفسه لابراهيم حقنا لدماء الناس فبعث به معززا مكرما الى ابيه في مصر فأرسله ابوه بدوره الى السلطان في الاستانة . ولكن السلطان كان اقل كرما ونبلا من محمد علي فأمر باعدام عبد الله بن سعود وبتخريب الدرعية .

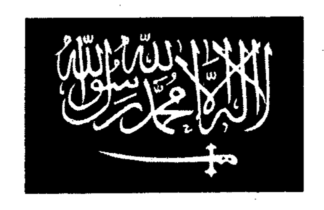
وباعدام عبد الله بن سعود طويت صفحة السعوديين الذهبية والتي ظلت مطوية حتى ابتعثها عبد العزيز آل سعود فأعادها اشد ما تكون روعة وبهاء •

وان مطالع هذا التاريخ لا يلبث ان يخالطه الاسف الشديد بل والحزن العميق لوقوع هذه النكبة التي ادت الى اصطراع اخوين وشقيقين في الدين والله ، بل وفي النهضة • ما كان احوج المسلمين الى سلامة العقيدة الوهابية وسيف الجيوش المصرية لاعادة تجديد شباب الاسلام ، بدلا من هذا الصراع الذي قضى عليهما كليهما ، فخسرهما الاسلام معا • فمحمد علي لم يستطع ان يفيد من كفاحه وانتصاراته الرائعة ، لانه اسرف فيها من ناحية ، ولانه لم يحاول ان يعتمد على قوة الشعب الروحية من ناحية اخرى• فلو أنه عمد الى تخليص الدين من البدع والخرافات ، وطهر العقيدة الاسلامية مما غشيها من الغواشي ، وتأنى ريثما ينشر العلم ويحارب الجهل ويرفع من كرامة الناس ، اذن لوصل الى نتائج افضل مما وصل اليها بسياسته العسكرية البحتة ، والتي انتهت بعد ثلاثين سنة بدون اي نتيجة تذكر لمصر او لمحمد علي او للمسلمين •

ولذلك فان الإنسان يشعر بالاسف والحسرة كما قدمنا ان صدع محمد علي بأوامر سلطان تركيا ، واصطدم بالسعوديين ، فلم يكسب من وراء ذلك شيئا ، وحرم الجزيرة مصلحا كبيرا لو لم يبطش بقوته ، لواصلت جزيرة العرب نهضتها منذ ذلك التاريخ حتى اليوم •

وثمة درس آخر يعجبني من الشيخ حافظ وهبه اشار اليه في كتابه ، وهو نعيه على سعود شدة سياسته وقسوتها وتعصبه ، لتنفيذ كل آرائه وافكاره ، كأنه يعيش في هذه الدنيا بمفرده ، متجاهلا ما في

هذا العالم من سياسات وتيارات وقوى خارجية ، وهو الدرس الذي وعاه عبد العزيز آل سعود ، فنجح في تحقيق ما لـم يسبقه اليه سابق من آل سعود ، اذ لم يجعـل التهور او التعصب او تجـاهل حريـة الآخرين وحقوقهم اساسا لسياسته في اي يوم من الايـام ، ومن هنا كان نجاحه .



الفصل الثالث

تاريخ وآثار في الرياض

تركنا آل سعود وقد دالت دولتهم وانكسرت شوكتهم ، على أثر هذه الحروب التي دارت بينهم وبين الجيوش المصرية تلبية لاوامر سلطان تركيا وقتل عبدالله بن السعود • ولكن الصحراء كالبحر، لا يدوم فيها النصر ، وانما الحرب فيها كر وفر ، ومد وجزر • ولذلك فقد استطاع امير من آل سعود اسمه : تركي ، أن يحتل الرياض وان يتخذها مقرا لآل سعود وسلطانهم • ولكن الضربة الشديدة التي أصابتهم لم تجعل ذلك بالمهمة السهلة او الممكنة • فقد ضاعت هذه الهيبة التي كانت القبائل والاعراب تعنو لها ، فقامت كل قبيلة تنازع وتعارض معتمدة على التأييد والنفوذ يأتيانها مصر أو من تركيا • على ان علاج ذلك كان ممكنا لو لم يكن الضعف والانحلال قد دب في آل سعود انفسهم ، سنة الله في خلقه التي تجعل الجماعات تشقى وتسعد وتصح وتمرض وتقوى وتذبل ، فكان ان عدا مشاري بن سعود الكبير على تركي فاغتاله وهو قائم يصلي ليستولي على امارته ، فلم ينعم بهذه الامارة

التي اشتراها بثمن فاحش الا بعض الوقت ، ريثما عاد فيصل بن تركي من احدى غزواته فقتل مشاري وجلس على امارة ابيه . ولكـن هذه الجريمة الجديدة وهذا التصدع في الاسرة الواحدة قد عجل بتدهورها وانحلالها فساعد علـى ظهـور اسرة جديدة فـي نجد هي اسرة آل الرشيد ، وقد كانوا عمالا لآل سعود فلم يلبثوا ان تغلبوا علـى نجد وملكوا الرياض ، فاضطر عبد الرحمن بن فيصل ان يرحل من الرياض وأن يلجأ الى الكويت ، وهي امارة صغيرة على الخليج العربـي.ولكن موقعها الجغرافي جعل لها خطراً كبيرا وزادها ما اكتشف فيها بعد ذلك من البترول خطرا على خطر حتى اصبحت الكويت احد المراكز العالمية التي تصطرع حولها السياسة العالمية . وفي هـذا الجو وهـذه البيئة ترعرع عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بطل الجزيرة اليوم.

عبد العزيز آل سعود :

وكتبت عن عبد العزيز آل سعود كتب كثيرة حديثة بمختلف اللغات، كما كتب عن كل اعـلام العصر الحاضر كمصطفى كمـال وموسوليني وهتلر . وكل هذه الكتب تبدأ الحديث عن ابن سعود بمغامرته التـي تشبه ان تكون خرافية ، عندما سار مع اربعين من اتباعه ليسترد ملكه وملك آبائه ؛ وحتى الشيخ حافظ وهبه ، وهو من هو مكانة وقربا من ابن السعود ، عندما تحدث عن تاريخ ابن السعود في كتابه جزيـرة العرب ، جعل هذه المغامرة مبدأ قصته . ولكـن التاريخ المفصل كما رواه الاستاذ احمد عبد الغفور عطار في كتابه «صقر الجزيرة» يحدثنا ان هذه لم تكن مغامرة عبد العزيز الاولى لاسترداد الرياض بل لقد سبقتها محاولة عسكرية ضخمة لاستردادها ففشلت ، الامر الذي يضاعف في أهمية محاولة عبد العزيز الثانية للنجاح بهذا القدر الضئيل من الاتباع حيث فشل الجيش الجرار . ونحن لا نظن ان الاستاذ عبد الغفور قد

جاء بهذا التفصيل الطويل الذي خالف فيه من سبقوه في الكتابة من عندياته ولذلك فنحن نطمئن الى صحته (١) .

لا بد ان يكون عبد العزيز،كأي عبقري موهوب قد ادرك درجة النضج في سن مبكرة . ولا بد ان تاريخ اجداده العظام كان هو طعامه وغذاءه في طفولته،وكلما شب وكبر كان هو الوقـود لشحذ عزيمته . حتى اذا بلغ سن الشباب اصبحت صفحـات اجداده نارا تحترق فـي عروقه وفي صدره وتدفعه للعمل لاستخلاص الرياض مرة اخـرى ممن غلب عليها وبعث هذا الملك الذي اندرس ، ملك آل سعود فـي طول الجزيرة وعرضها .

وكان عبد العزيز آل سعود قـد بلغ العشرين عندما استطاع ان ينجح في اقناع ابيه المجرب المحنك ان الوقت قد حان للجهاد في سبيل استرداد الرياض بمعاونة الامير مبارك الصباح امـير الكويت الغنـي القوي . وللامير مبارك مصلحة كبرى في ان يعـود آل سعـود الى الرياض ليخلص بذلك من سلطان ابن الرشيد وشوكته التي بدأت تظل هذا الجزء من شرق الجزيرة ، فضلا عن ان عودة آل سعود الى الرياض، بتأييده وتحت حمايته سيجعل منهم امراء تابعين لسلطانه ، وكان خلف امير الكويت السياسة الانجليزية التي بدأت توطد صلاتها معـه والتي اصبح يهمها ويعنيها ان يقوى نفـوذ حليفها وصديقها في داخل هذه الجزيرة المغلقة عليها .

لكل هذه الاسباب مجتمعة وجد عبد العزيز لدى مبارك الصباح أذنا صاغية عندما حدثه عن وجوب تجهيز حملة لفتح الرياض ، على ان

---

(١) اتيح لنا سؤال الشيخ حافظ وهبه في هذا الموضوع فأجابنا ان الحق هو ما جاء في كتاب الاستاذ عبد الغفور .

تتألف هذه الحملة من شعبتين احداهما جيش لجب كبير يقوم على رأسه مبارك الصباح نفسه ليصطدم بجيوش ابن الرشيد ، في الوقت الذي يسير فيه ابن السعود على رأس جيش من الف رجل ليستولي بهم على الرياض منتهزا تشاغل ابن الرشيد عنها .

وقد نفذ مبارك الصباح هذه الخطة كاملة فأعد جيشا كبيرا توجه به لحرب ابن الرشيد ، وجهز ابن السعود بألف من الرجال الاشداء المستعدين . وتمت الخطة في بادىء الامر بنجاح كبير فوصل ابن السعود الى مدينة الرياض ودخلها فاتحا غازيا مهللا مكبرا ، واستقبلته المدينة بالبشر والترحاب ، كيف لا وهو سليل هذه الاسرة المباركة التي جعلت يوما ما من الرياض والدرعية عاصمة لكل الجزيرة العربية ، ونعمت في ظلها نجد بالرفاهية والحضارة والامن والنظام . ولذلك كان ترحيب الرياض بابن السعود عظيما فدخلها في غير حرب وجلس على كرسي آبائه واجداده ، فهل انتهت القصة بهذه السهولة والبساطة ؟

الجواب : لا ، فقد كان القدر يخفي لابن السعود دخولا أروع للرياض لا يكون فيه مدينا بالفضل لاحد الا ايمانه بالله وشجاعة قلبه وقوة ساعده .

لقد حبطت خطة عبد العزيز الاولى ورأى نفسه مضطرا للانسحاب من المدينة التي دخلها بدون حرب والتي هللت وكبرت لمقدمه. لقد دخل المدينة ، ولكن حصن المدينة لم يسلم له واستعصى عليه ، وعبثا حاول ابن السعود ان ينال منالا من حاميته ، وكيف ينال من هذه الجدران الضخمة وكل سلاحه سيف وخنجر وبندقية ! ومع ذلك فقد كان يستطيع ان يحمل حامية الحصن على الاستسلام نتيجة الحصار الطويل ، ولكن ما ان شرع يهيىء نفسه لشيء من ذلك حتى جاءت الاخبار بان ابن الرشيد قد هزم مبارك الصباح وجيشه الكبير هزيمة

منكرة ، وأنه في طريقه الان الى الرياض ليسحق هذا المغامر الصغير . ولو وصل الى الرياض وابن السعود فيها ، لاصبح ابن السعود بين شقي الرحى : بين هذه الحامية في داخل المدينة ، وهذه الجيوش الجرارة من حولها ، فلا يبقى امامه الا ان يموت او يستسلم ليعود مرة اخرى الى مهاوي العار والخزي اذا سمح له ابن الرشيد بالحياة .

وابن السعود وان كان في سن الشباب المبكر الذي يتسم بالطيش والاندفاع والرغبة في الفدائية والتضحية ، وهو ما كان يمكن ان يحمله على التشبث بالرياض والاستماتة فيها وليكن ما يكون ، ليس مجرد شاب تسري عليه قواعد الشباب العادية ، انه عبقري قد هيأته الطبيعة ليلعب دورا كبيرا في حياة هذه الجزيرة ، ولذلك فقد آثر ان ينسحب فائزا من الغنيمة بالاياب . فعاد الى الكويت لا نقول يجر اذيال الخيبة فهو لم يصب بهزيمة عسكرية وقد حقق هدفه بدخول الرياض ، فاذا كانت الخطة قد خابت فمن جراء هزيمة حليفه الكبير عسكريا . ولذلك فان اليأس لم يتطرق الى قلبه لتحقيق امله في استرداد الرياض، بل على العكس لقد أكسبته هذه المحاولة الاولى تجربة واجتراء.

فلم يعد امتلاك الرياض حلما من الاحلام ولكنه كان حقيقة واقعة لعدة شهور فالامر اذن لا يستدعي سوى تكرار المحاولة مع إحكام الخطة هذه المرة . ولقد وضع ابن السعود خطته الثانية وانها لتبدو للوهلة الاولى خطة جنونية ،وانها مغامرة شاب طائش اراد ان يموت في سبيل استرداد ملك آبائه ، ولكنك لو أمعنت النظر في هذه الخطة لوجدتها السبيل الوحيدة لنجاحه بعد أن فشل في خطته الاولى .

أسمعت عن قصة حصان طروادة عندما عجزت جيوش أغاممنون ومن معه عن فتح طروادة ، وطال عليهم الامد والحرب سجال بينهم وبين حماتها المغاوير ، فلم يروا الا ان يستخدموا الحيلة لاقتناصها من الداخل

بعد ان تحطمت قواهم على اسوارها • فابتكروا هذه الخدعة المشهورة على ما تروي الاساطير ، وهي صنعهم هذا الحصان المعدني الضخم الذي حشوه بالجند والفرسان ثم تظاهروا بالهزيمة والانسحاب مخلفين هذا الحصان خلفهم فخرج أهل طروادة فرحين مبتهجين بانكسار خصومهم ، فوجدوا هذا الحصان الضخم فظنوه تمثالا او دمية من الدمى فعادوا به الى داخل مدينتهم كسلب من الاسلاب وغنيمة من الغنائم ورمزا لانتصارهم العظيم على اعدائهم • فلما جن الليل وقد سكر فرسان طروادة من نشوة النصر فاستلقوا على أقفيتهم ، خرج الكمين من داخل الحصان فقتلوا الحراس وفتحوا الابواب ، وهكذا اسقطت طروادة من الداخل بخدعة وحيلة وهي التي لم تسقطها الجيوش الجرارة في الحرب المستعرة خلال السنوات الطوال •

هذه الاساطير والخرافات التي نطالعها وتتقبلها على انها لون من الوان الخيال لامتاع الذهن المكدود بالحقائق والماديات ، لم يطالعها ابن السعود ولا يعرف من امرها شيئا ولكنه بدأ صفحة جديدة في حياة جزيرة العرب بمغامرة كهذه المغامرات التي لولا ان بطلها لا يزال حيا يرزق ، ولولا ان كثيرين من الذين شاهدوها وعاصروها لا يزالون احياء يرزقون ، بل لولا ان رأيت بعيني رأسي آثارها قائمة ناطقة حتى الآن ، لما اعتبرتها الا اسطورة من الاساطير التي تحاك حول الابطال •

اربعون رجلا وثلاثون بندقية :

ماذا حدث في خطة ابن سعود الاولى ، ولماذا فشلت ؟ لقد سار الى الرياض فدخلها في غير عناء ، ولكن حصنها ذا الابراج الاربعة استعصى عليه ، فلم يستطع ان يستقر في المدينة • ليس المهم اذن ان يستولي ابن السعود على الرياض نفسها ، فهذه ليست هدفا عسكريا ـ

والاستيلاء عليها لا يقدم ولا يؤخر اذا ظل حصنها قائماء فيجب ان تدور الخطةالجديدة حول كيفية الاستيلاء علىالحصن عنوة وهو امر يكاد يكون في حكم المستحيل بالنسبة لاسلحته البيضاء والخفيفة • وأدرك أن أخذه عن طريق الحصار الطويل غير ممكن كذلك ، لان ابن الرشيد لن يلبث ان يسرع بجيوشه لانقاذ حامية الحصن والقضاء على المهاجم• لم يبق اذن الا أن يستولي على هذا الحصن بالخديعة والحيلة لا بالقهر والقوة ، فاذا سقط الحصن كانت المدينة تحت امرة ابن السعود وهو محررها ومنقذها من طغيان حكم آل الرشيد ، وعاملهم على الرياض المسمى : عجلان ، ذلك الجبار المستبد الغشوم •

وطبيعة الخدعة والحيلة أن تتم في الخفاء لا في العلن • فأصبح من طبيعة خطة ابن السعود الجديدة أن لا يسير بجيش لجب كما فعل في الخطة الاولى ، وان لا يستعين بابن الصباح في تسيير جيش آخر كبير على خصمه ، بل عليه ان يسير هو في خاصة من أصحابه لا يكاد يسمع بخبرهم انسان ، فاذا سمع لم يتصور انهم يقصدون الرياض فالرياض لا تفتح بأربعين يمتطون الجمال بعد ان عجزت الجيوش الجرارة عن اقتحامها •

وكانت هذه هي خطة ابن السعود عندما عرضها على ابن الصباح امير الكويت • لم يطلب منه سوى اقل العون فأمده بمائتي ريال وثلاثين بندقية واربعين ذلولا وشيئا من الزاد ، وكانت هذه هي كل عدة ابن السعود في محاولته الثانية •

سار بخاصة آل بيته واصحابه وكانت عدتهم ستين ، لم يقل لهم بادىء الامر اين يذهب بهم والا وهنت عزائمهم ، ولم يكن يعرف مقصده الا بعض افراد قلائل ، وحتى هؤلاء لم يكونوا يعرفون ما هي خطته ، وماذا عساه يفعل ؟ وكل ما في الامر انهم بايعوه على السمع

والطاعة فهم معه حيث كان وأنى سار .

وبعد ان اوغل الجميع في الصحراء ، ادركوا انهم يتجهون صوب الرياض . ولكن ماذا عساهم فاعلين ؟ ها هوذا عبد العزيز يسير على رأسهم في ثقة وعزم واقدام ، فلم يبق الا ان يتابعوه والعربي بطبعه ليس جبانا ولا رعديدا .

وكان عبد العزيز هو وحده الذي يعرف الخطة التي رسمها لنفسه . ان هدفه ان يستولي على الحصن وان يستولي عليه بالحيلة بعد ان يقتل اميره عجلان .

مهمته اذن ، تتلخص في قتل عجلان ، وهي مهمة لا تحتاج الى جيش كبير ، فقد عجز الجيش عن تحقيق هذه الغاية ، ولكنها تحتاج الى قلب كبير وخطة خفية محكمة . وهذا ما كان ابن السعود ينسج شباكه ورجاله يستحثون مطاياهم للاقتراب من الرياض . وكانوا يسيرون بالليل ويستخفون بالنهار حتى لا يكشف امرهم انسان ، حتى اذا كانت الليلة الرابعة من شهر شوال سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) اقترب ابن السعود والذين معه من الرياض ، ولم يبق بينهم وبينها الا مسيرة ساعتين فاختار لرجاله منزلا اناخوا فيه مطاياهم . ثم تناولوا طعام العشاء في هدأة الليل وشربوا قهوتهم العربية ، حتى اذا اوشك الليل ان ينتصف اختار ابن السعود اربعين من رجاله على رأسهم شقيقه محمد وابن عمه عبد الله بن جلوي وهما من اشجع العرب واقواهم شكيمة ، وترك عند متاعهم عشرين رجلا مدججين بالسلاح والعتاد استعدادا للطوارىء قائلا لهم : اذا وصلكم نبأ انتصارنا فاقدموا على بركة الله ، اما اذا كانت الاخرى فكونوا رسل نعيي الى ابوي واهلي وعشيرتي !

ولسنا في حاجة الى كبير خيال لنتصور ماذا كان يدور في نفوس القوم في هذه اللحظة وهم يفترقون ، ولسنا في حاجة الى بيان لتصوير

ما كانت عليه أعصابهم من توتر ، ولو قلنا ان قلوبهم كانت توشك ان تقف في هذا الوقت من لحظة لاخرى لما كنا مبالغين .

اقترب ابن السعود من المدينة ... انها تغط في سبات عميق ، كأي بلدة من بلاد الصحراء بعيدة عن مفاسد المدن ، ولم يكن يسمع في هدأة الليل الا هذه النواعير (السواقي) التي لا تكف عن الغناء والتطريب بالليل والنهار . واقترب ابن السعود اكثر واكثر حتى اصبح بالقرب من اسوار البلدة ، فهل كان يعرف الاربعون الذين اقتربوا من هذه الاسوار ما هو عملهم بالضبط ؟ لا ، ان الوقت لم يحن بعد . لقد عاد ابن السعود لقسمة رجاله فأبقى خارج الاسوار ثلاثة وثلاثين من رجاله . واختار سبعة ليصحبوه في المرحلة الاخيرة من مغامرته ، او المرحلة الاولى اذا شئت ، وكان من بين هؤلاء السبعة شقيقه وابن عمه بطبيعة الحال . وتخطى هؤلاء السبعة الاسوار دون ان يثيروا شبهة او ريبة ، واقتربوا من بيت فلاح من سكان الرياض اسمه جوير فطرقوا بابه ففتح لهم ، ولم يكد صاحب الدار يعرف من الطارق حتى كاد يجن من الفرح والدهشة في ذات الوقت ، فهذا عبد العزيز آل سعود يطرق بيته في منتصف الليل ، ولكن الوقت لم يكن وقت ضيافة او دهشة او فرح ، انها خطة محكمة يتوقف على نجاحها تبوؤ عبد العزيز ملك آبائه واجداده ، ويترتب على فشلها ضياع حياته . ولذلك فقد وضع رب البيت وكل من في البيت في احدى حجرات البيت وطلب منهم ان يصمتوا ولا يتحركوا او يحدثوا حدثا ، وتوعدهم بالموت اذا خالفوا أوامره ، ولم يكونوا في حاجة الى هذا التهديد فهم له سامعون ومطيعون .

الخطة :

وبدأ ابن السعود يشرح خطته في صوت خافت لهذه العصبة من

الرجال معه : ان عجلان مولى آل الرشيد وامير الرياض يقيم في الحصن في أغلب الاوقات ، ولكنه متزوج بامرأة من الرياض تقيم فـي بيت يجاور هذا البيت الذي يكمن فيه الآن ابن السعود ومن معـه ، فلو استطاعوا ان يتسللوا الى بيت زوجة عجلان في هدأة الليل اذن لقتلوه على فراشه ، وانتظروا حتى يطلع الصباح ويفتح الحصن ابوابه ، وهو في مواجهة الدار التي يكمنون بها ، فيقتحمونه على غرة مـن الحرس الذين ستذهلهم المفاجأة فلا يستطيعون عن انفسهم دفاعا .

هذه هي الخطة كما رسمها ابن السعود في رأسه قبل ان يغادروا الكويت . بسيطة كل البساطة ، وتؤدي في حالة نجاحها الى امتـلاك الرياض وحصنها ولكن لا بد لنجاحها من شيء واحد وهو توفيق الله ، فاذا منحوا هذا التوفيق ، سقطت الرياض في ايديهم ، واذا تخلى عنهم التوفيق سقطت رؤوسهم من فوق اكتافهم ، وهذه هي المغامرة . وهل تمت عظائم الاعمال الا من خلال المغامرة والمجازفة ؟

تسلل ابن السعود وعصبته مـن بيت جوير الى البيت المجـاور فوجد به شخصين يغطان في سبات عميق فلفهما في فراشهما ، ووضع الى جوارهما من يضمن سكوتهما حتى الصباح ، ثم نفذ الى بيت امرأة عجلان بعد ان كان قد ارسل من يحضر بقية الرجال الاربعين ، فجاءوا خفافا لا يسمع لهم صوت ، وتكامل الاربعون رجلا وعلى رأسهم هذا المارد الجبار في فناء بيت عجلان ، وقد كان السكون يسيطر على المكان في عمق ، ولم يكن يفصلهم عن هدفهم الا هـذا الباب المغلـق ، الذي لا بدوان يكون وراءه عجلان وامرأته يغطان في سباتهما العميـق ، والا لشعرا بصوت الاربعين رجلا في فناء بيته حتى ولو كانوا من الاشباح غير الآدمية ، وفتح ابن السعود الباب فألفى على الفراش شخصين كمـا توقع ولكنهما لم يكونا عجلان وامرأته بـل امرأة عجلان واختهـا .

واقترب منها ابن السعود فأيقظها برفق ولعلها هتفت به في ذلك الوقت مذعورة : اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ، ولكن ابن السعود لم يلبث ان عاجلها بالسؤال عن زوجها ، وادركت المرأة فـي لمحة عين كل شيء • فهذا عبد العزيز آل سعود يبحث عن زوجهـا لقتله • ويروي الاستـاذ احمد عبد الغفور عطار في كتـابه « صقر الجزيرة » الـذي روى هذه القصة مفصلة نقلا عن الثقات بطبيعة الحـال وأقرب المقربين من ابـن السعود • ان المرأة اسرعت الى الانضمام الى ابن السعـود اخلاصا له • ونقول نحن إن ذلك موقف لا سبيل فيه لاظهار الاخلاص او عدمه ، فلم يكن للمرأة خيار وقد كان السيف على رأسها •

اعاد عليها ابن السعود السؤال وقد هدأ مـن روعها سائلا عن زوجها ، فأجابته انه قد بات هذه الليلة في الحصن • أيكـون التوفيق قد اخطأهم وأفلت الطير مـن الفخ ••؟ قالت لـه المرأة تحت ضغط اسئلته والحاحه : انه سيجيء اليها في الصبـاح المبكر • ومن يضمن بقاء السر مكتوما حتى الصباح ؟• ومن يضمن ان لا تبدو حركة هنا او هناك فينفضح كل شيء ؟ ومع ذلك فلم يكن هناك مجـال للتردد او التراجع ، ولم يبق امام القوم الا ان ينتظروا وان يصبروا حتى مطلـع الفجر •

ويكتب لنا الاستاذ عبد الغفور صفحات شعرية طويلة واصفا حالة القوم في هذه اللحظات الحرجة ، وبأي حديث كان يناجيهم ابن السعود ليثبت اقدامهم ، وكيف قام يصنع لهم القهوة بنفسه ويقدم لهم الطعام وكل ذلك جائز ومعقول ، ولكن الذي احسب ان خيال اديب الحجاز قد شط فيه هو قوله ان ابن السعود قد نام هو ورجاله •

« تناول هؤلاء الابطـال طعـامهم وشرابهم ، واخذوا مضاجعهم يريحون جنوبهـم وقلوبهم يستجمعون القـوى والنشاط استعـدادا

للمجازفة بأثمن ما لديهم — ولدى الناس — بأعمارهم ، بحياتهم .. انها رهينة هذه المجازفة .

فلندعهم نائمين ريثما يوقظهم الفجر » .

ثم راح الاستاذ عبد الغفور يعلق على هذا الموقف ما شاء له الله ان يقول في وصف البطولة التي لا مثيل لها. ثم عاد ليقول :

« اعلن المؤذن لصلاة الفجر يقطع بصوته الجهوري صمت الليل. يهيب بالناس ان الصلاة خير من النوم.فاستيقظ عبد العزيز ونبه رجاله لاداء فرائض الله » .

ونحن نقول للاستاذ عبد الغفور ان لو كانت هذه ليلة ، وكان هذا موقفا ، مما ينام فيه ابن السعود ، فالاحرى به ان لا يعد في زمرة اتفه الجنود شأنا فضلا عن ان يعد في صفوف الابطال .

أينام ابن السعود وهو في بيت عدوه وفي ظلال حصنه ، وقد تؤدي غلطة واحدة بل قد يؤدي ارتفاع شخير رجاله الى كشف السر وضياع حياتهم بل وضياع آمالهم ؟ وكيف ينام من يترصد خصمه ليقتله ؟ وكيف ينام من يريد ان يبني ملكا بضربة واحدة من ساعده ؟ وكيف ينام عبد العزيز في هذه الليلة وقد اصبح بينه وبين المجد او القبر سد اوهى من العنكبوت ؟ لا يا سيد عبد الغفور ! لقد جمح بك الخيال فصورت شيئا مستحيلا على العلم والعقل في مثل هذه الظروف . وحتى لو قيلت لك هذه الرواية لوجب ان تستبعدها ، ولو قالها عبد العزيز آل سعود نفسه لناقشته فيها ولما صدقته الا ان يقول لي : لقد اوقف على رأسه رجاله الاشداء ليحرسوه وليوقظوه لدى اول حركة ، اما ان يقال ان صوت المؤذن هو الذي ايقظه وانه دار يوقظ رجاله ، فهذا عمل لو صح لما كان بطولة ولما استحق عبد العزيز ان يكون كما كان .

٤ شــوال :

فتح حارس الحصن خوخة الباب الكبير، فان سيده قد صلى الفجر وحان موعد ذهابه لزوجته لتناول طعام الافطار معها بعــد ان يلقي نظرة على خيوله الكريمة الاصيلة ، والتي يطرب كل فارس لمرآها وتعهدها • وخرج عجلان من خوخة الباب وهي مرتفعة عــن الارض بمقــدار متر فليس اجتيازها بالامر السهل ، ونفذ عجلان الى هــذه الساحة امــام الحصن ، وراح يستنشق نسيم الصباح ويتلفت فيما حوله وسار بضع خطوات في طريقه الى مربض الخيول وبيت زوجته • ولكن احساسا غريبا قد غمره فجعله يتوقف في منتصف الطريق ثم يتلفت حــوله في استرابة ، ثم لا يلبث ان يعود منثنيا الى الحصن فــي خطوات مسرعة بعض الشيء • هل رأى شيئا ؟ هل سمع شيئا ؟ هل لاحظ شيئا غــير عادي ؟ ان عجلان لم يعش حتى يروي لنا ماذا حدث ، فان الذي قص القصة هم الذين قتلوه ، والذين شاهدوه يقــوم بهذه الحركة فأسرعوا خلفه ليقتلوه قبل ان يدخل الحصن فيتقرر مصيرهم • وقد يكون عجلان قد لاحظ شيئا غير عادي ، ولكن الذي لا شك فيه ان الكائن الحي اذا اقترب من الخطر الداهم شعر باحساس غير عادي ، وقد يمر به فلا يفهمه فيتردى في الخطر ، وقد يكون من توفيق الله له ان يثنيه عن الخطر •

لقد كان ابن السعود يقف خلف باب عجلان مصلتا سيفه ، وخلفه اربعون رجلا ليجهزوا على عجلان بمجرد ان يفتح الباب ، فاذا لم يكن كل ذلك بالذي يحمل الى عجلان شيئا من الاحساس والشعور بالخطر اذا اقترب من هذا الباب ، فلن يكون في الحياة كلها شيء اسمه غريزة البقاء او روح وقوى روحية وقوى مغناطيسية ، ولن يكــون في هذه الحياة شيء اسمه الهام ، بل لن يكون فيها سر غامض عميق لهذا الذي نحسه جميعا ونشعر بــه •

كيفما كان الامر فقد أجمع كــل من اشترك في الحادث ، ان عجلان خرج من خوخة الحصن سادرا لاهيا لا يبدو عليه انه يحس بأي امر غير عادي ، وانه قصد بيت زوجته ، حتى اذا كان في منتصف الطريق اذا به يتوقف ثم يتردد ، ثم يدير ظهره ويتجه صوب الحصن بخطى خفيفة • وكــان على ابن السعود ان يدرك خصمه قبــل ان يدخل مرة اخرى ويضيع امله الى الابد • وقد كان ، فقد خرج ابن السعود شاهرا سيفه يعدو وراء عجلان ومن ورائه شقيقه وابن عمه • وسمع عجلان الصوت ورأى الموت • وهكذا تجسد له ما كان يختلج في نفسه من غموض وابهام • فأسرع يجري وكل همه ان ينفذ مرة اخرى من خوخة الحصن ثم يبحث عن جلية الامر •

ولكن متعقبيه كانوا اكثر شعورا منه بالخطر فيما لو افلت منهم.فكان انقضاضهم عليه اسرع من فراره، ومع ذلك فلولا هذه الخوخة اللعينة لما امكنهم ان يدركوه بأي حال من الاحوال فلا سبيل لاجتيازها والانسان يعدو ابدا ، الا ان يحاول ان يدخل برأسه اولا ثم يفرد جسده ، ويحاول ان يقذف بنفسه قذفا الى الداخــل • وهذا ما فعلــه عجلان فضاعت سرعته ووضع نفسه في وضع جعله فريسة سهلة هينة ، فقد ادركه ابن السعود او بالاحرى ادرك قدميه فأمسك بهما وراح يجذبه الى الخارج ليحول بينه وبين الدخول • وبينما هما في هــذا التجاذب ، كــان عبد الله بن جلوي ابن عم عبد العزيز قــد لحــق بهما فقذف بحربته ليطعن بها ظهر عجلان الممدود امامه ، ولكن الضربة طاشت فانغرست الحربة في خشب الباب السميك ، فلما حــاول ان ينزع الحربة بغضب تكسر سنها وظل عالقا بالباب • ولكن ذلك كله كان قد أورث عجلان وقتا وقوة فاستطاع ان يخلص نفسه من ابن السعود وان ينفذ الى داخل الحصن ، ولكــن ابن السعود كان في اعقابه وعبد الله بن جلوي في اعقابهما ، واصبحت المسألة الآن مسألة ثــوان

والويل لمن يخطئه التوفيق . لقد تنبه كل من في الحصن لما حدث ، وقد اسرع بقية رجال ابن السعود في آثاره ، فشاهدهم جنود عجلان من ابراج الحصن ، فراحوا يطلقون عليهم الرصاص وهم محصنون في ابراجهم والآخرون مكشوفون في الساحة وعرضة للاجهاز عليهم، فلم يكن امامهم الا ان يسرعوا الى داخل الحصن من هذه الخوخة المفتوحة ، والتي مرق منها عجلان وابن السعود فكان اندفاعهم اليهـا على أثرهما حائلا دون تمكـن الحارس الذي اذهلته المباغتـة مـن اغلاقها . اما ماذا حدث في هذه اللحظات الرهيبة في داخل الحصن فيتلخص في اطلاق عبد الله بن جلوي (طبنجته) علـى عجلان بمجرد دخوله من الخوخة ، وفي هـذه المرة لم يخطئه الطلق فسقط الرجـل يتشحط في دمه ، وهتف ابن السعود ومن معه : الله اكبر .

لم يكن التغلب بعد ذلك على حامية الحصن بالامر الصعب ، فان هول المباغتة دائما يشل الاعصاب ويفقد الصواب ، وها هم اولاء ولما يكد النهار يطلع يقتل امامهم اميرهم ، ويندفع الى داخل الحصن اربعون رجلا جعلتهم المغامرة ، وما يحيط بهم من خطر داهم كأنهم نار جائحة او اعصار مدمر . ولا شك ان عددهم تجلى في نظر حامية الحصن اضعاف اضعاف حقيقتهم ، وقد وجدوهم يخرجون سراعا من هذا البيت في مقابلة الحصن . ومن يدري انهم ليسوا طليعـة الجيش الكبير الذي سيبدو على آثارهم ؟ كـل ذلك جعل مهمة التغلب عليهم سهلة هينة ، ورفض عشرون منهـم ان يستسلموا فتحصنوا في احـد الابراج ، ثم لم يلبث القوم أن تغلبوا عليهم فضربوا اعناقهم في احدى القاعات فسال دمهم غزيرا من السقف وانحدر على الجدار .

وراح الدليل يرينا آثار هذه المعركة ويصورها لنا . هذه هي دماء الحرس الذين اعدموا وقد تجمدت علـى الجدران ، ونظرنا الى حيث

أشار الدليل الى السقف فوجدنا آثارا سوداً هي آثـار الدماء عندما تمضي عليها الايام والسنون •

وهذه هي خوخة الباب التي دار حولها الصراع في اول مراحله • وهذه هي بقية حربة ابن جلوي لا تزال غائصة في خشب الباب ، لقد علاها الصدأ ولكنها ما تزال هناك شاهدة على هذه الملحمة وعلى هذه الضربة الطائشة ، والتي كان يمكن ان تؤدي الى هلاك ابن السعود ومن معه وحرمان الجزيرة من كل تاريخها الحديث • ولكن ضربة ابن جلوي الثانية قــد انقذت الموقف وحققت ارادة التاريــخ • ها هي ذي آثار الاعيرة النارية التي أطلقهـا لا تزال علـى الجدران • ما اروع الآثار التاريخية الصادقة • انها تبقي الحوادث حية لا مجال فيها لاعمال الخيال، فلو قيلت لي هذه القصة التي سردتها دون ان ارى ما رأيت لتصورتها خرافة من الخرافات ، ولكن ها هو ذا كل شيء يؤكد انها حق وحقيقة • وسألت الدليل ونحن وقوف في الساحة خـارج الحصن : واين بيت عجلان الذي اختفى فيه ابن السعود ؟• فأجابني : لا بد انـه كان في هذا المكان ، ثم هدم واصبح جزءا من هذه الساحة • ما اعجب هؤلاء القوم ! انهم لا يؤمنون بشيء اسمه آثار يحافظ عليها ، ولولا ان هذا الحصن لا يزال قائما ينتفع به كسجن لهدم منذ زمن بعيـد ، ولما ظل محتفظا بهذه الآثار ، كيف يهدم بيت عجلان وبيت الفلاح المجاور له ، وقد كان الواجب ان يبقيا ليرى كل انسان كافـة اجزاء المسرح الذي تمت عليه هذه الرواية العجيبة •



الفصل الرابع

إبن السّعود يبدأ ملكه

كان تعليق ابن الرشيد سيد نجد عندما سمع باحتلال ابن السعود للرياض بهذه المؤامرة التي وصفناها : انه لو نفض عباءته لفر ابنُ السعود مذعورا من الرياض ، وما هو الا أرنب فـي جحر يستطيع ان يقبض عليه حيث شاء وأنى أراد . وقد كان ابن الرشيد محقا في هذا التصور كل الحق . ألم ينسحب ابن السعود من الرياض ومعه جيش من الف رجل عندما علم بمسير ابن الرشيد اليه ؟ فماذا عساه يفعل اليوم بدون جيش اطلاقا ؟

ومع ذلك فان ابن الرشيد لم يفكر في الهجـوم على ابن السعود احتقارا لشأنه من ناحية ، وخوفا من المباغتة مـن ناحية اخرى ، فقد كان يخشى أن يكون في الامر كمين فلم يدخل في عقله ان ابن السعود يجازف هذه المجازفة ، وهو لا يملك من الامر شيئا ، ولا بد ان هذه مناورة يراد منها ان يتجه ابن الرشيد الـى الرياض بجيشه ، فلا يلبث مبارك الصباح ان يباغت حائـل بجيشه ، واذن فالقضية ليست قضية

ابن السعود وانما هي قضية مبارك بن الصباح امـير الكويت والذي ما فتئت نفسه تحدثه بفرض سلطانه علـى شرقي نجـد • وراح ابن الرشيد يراسل الاتراك ليساعدوه على غزو الكويت التي دخلت تحت حماية الانجليز ، وأضاع فـي هـذه المراسلات وقتا ثمينا استغله ابن السعود في توطيد مركزه في الرياض والقبائل المحيطة بها ، فلما ان جاء أوان اصطدام ابن الرشيد بابن السعود كـانت الفرصة قد افلتت منه ، وكان ابن السعود قد اصبح عصيا بل اصبح ندا لابن الرشيد ويمتاز عنه بخلائقه التي حببت اليه الناس وجمعت حوله القلوب • وكانت معارك بين الرجلين انتهت بهزيمة ابن الرشيد في سلسلة من المعارك أطلق عليها معركة البكيرية ، وغنم ابن السعود اسلحة ابن الرشيد فزاد ذلك مـن قوته.وفي روضة مينا ظفر جيش ابن السعود بابن الرشيد فقتله ، ولـم يسع آل الرشيد الا ان يعقدوا الصلح مع ابن السعود ثم شاءت السياسة ان تؤلبهم بعد ذلك عليه ، وظلت الحرب بينهم سجالا حتى انتهى الامر بان نزلوا عند حكمه ، فدخل ابن السعود مدينة حائل قاعدة امارة آل الرشيد سنة ١٣٣٨ هـ • ونزل أمراء آل الرشيد ضيوفا مكرمين عند ابن السعود يؤلفون بعض بطانته وحاشيته ولا يزالـون عنـده حتى الآن يعاملون كما يعامل بقية الامراء من آل سعود •

وفي سنة ١٣٣١ هـ فتح الاحساء وضمها الى نجد ثم كانت الحرب العالمية الاولى فوقف ابن السعود في انتظـار نتيجتها ، بعـد ان عقد معاهدة مع الانجليز سنة ١٩١٦ م • فلما انتهت الحرب العالمية الاولى وخرج منها الشريف حسين يعتبر نفسه ملكا على العرب حدث الاصطدام بينه وبين ابن السعود الذي لم يعترف له بهذا الملك ، فكانت سلسلة اخرى من الوقائع التي بدأت في سنة ١٣٣٧هـ (١٩٢٠م) فـي بلدة تربة التي تنازع عليها الرجلان ، وهل هي من الحجاز او من اعمال نجد ،

وقد هزم فيهـا جيش الحسين برئاسة ابنه المرحوم عبدالله (ملك شرق الاردن) هزيمة منكرة اذ مات فيهـا خمسة آلاف مـن خيرة جنـود الجيش وخسر فيها كل اسلحته التي زوده بها الانجليز والتي حارب بها الاتراك او غنمها منهم ، وفر الملك عبد الله ناجيا بجلده من هذه المعركة، ولولا تدخل الانجليز لصالح الملك حسين لاستطاع ابن السعود ان يفتح الحجاز في هذه السنة ، ولكن ابن السعود الداهية الاريب الذي يعرف كيف يصبر ومتى ينفذ خططه وكيف لا يبدأ احدا بعدوان ولا يسمح للاجانب بالتدخل في شئون العرب عاد بجيوشه في هـذه السنة تاركا الحجاز وشأنه .

الملك حسين وابن السعود :

وكان الملك حسين مضى في خصومته لابن السعود ، لان الجزيرة لم تكن تحتمل سيدين في آن واحد ، فراح يمنع حجاج نجد من دخول بيت الله الحرام . وظلت الامور تسوء بين الملك حسين وبين ابن السعود اكثر واكثر ، في الوقت الذي كانت تسوء فيه مع الانجليز من ناحية اخرى ، حيث كان يطالبهم بتنفيذ عهودهم التـي عاهدوه عليها فـي اثناء الحرب من توليته امبراطورا على بـلاد العرب كلهـا بما فيها فلسطين وسوريا . فكان اول النكث اعطاؤهم سوريا لفرنسا واستيلاؤهم علـى فلسطين ومنحهم اياها لليهود في صورة وطن قومي في بادىء الامر . ووجد الملك حسين نفسه مضطرا لمخاصمة الانجليز والتنديد بسياستهم . فعل ذلك ، في نفس الوقت الذي كان يضايق فيه النجديين ويحول بينهم وبين الحج ، ويؤلب على ابن السعود سائر قبائل الجزيرة كابن الرشيد قبل ان يستسلم . فلـم يسع ابـن السعود الا ان يغتنم هـذه الفـرصة ويبعث بجيوشه صوب الحجاز فاتحة غازية . فكان سقوط الطائف على ما وصفنا سابقا وتلاه احتلال مكة وتنازل الحسين عـن الملك لابنه عـلي

الذي ألف حكومة جديدة راحت تواصل المقاومة في مدينة جدة بصورة عقيمة حتى اذا كانت سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) لم يسع علي بن الحسين الا ان يتنازل عن الملك وان يفسح الطريق لابن السعـود الذي دخل جدة صبـاح الخميس ٨ جمادى الثانيـة سنة ١٣٤٤ هـ (٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م) وبذلك اصبح سيد الحجاز كما هو سيد نجد ، وبذلك دانت له الجزيرة العربية كلها باستثناء اليمن في طرفها الجنوبي الغربي والمحميات السبع التي فرض الانجليز حمايتهم عليها من قبل ، وقد اتيحت الفرصة لابن السعود ان يضم اليمن الى سلطانه ، ولكنه ارجع جيوشه عنها بعد ان كادت ان تدهم عاصمتها ، وذلك نزولا عنـد وساطة المسلمين في الظاهر وخوفا من التدخل الاجنبي في الباطن ، وليس هناك ما يخشاه ابن السعود وما عمل طول عمره جاهـدا لتفاديه ، اكثر من تدخل قوى الاستعمار الاجنبي في جزيرة العرب .

ويتربع ابن السعود اليوم على ملك الجزيرة بأقوى مما اتيح لواحد من اسلافه او غير اسلافه ، وقد مرق من حربين عالميتين مروق السهم ، فحافظ فيهما على حياده الدقيق فلم يزج بنفسه في مغامرات طمعا في توسيع رقعة ملكه هنا او هناك . فالرجل الحصيف يدرك انـه ما بقي في داخل جزيرة العرب فهو الحاكم المسيطر على كل الظروف والعناصر، اما اذا امتد به الطمع الى خارج حدود الجزيرة ، فهنا يكون الاصطدام بقوى الغرب المتألب ، وهنا يكون الفشل والخذلان اللذين اصيب بهما اجداده الاقدمون ، ولذلك فقـد لاذ الرجل بالحكمـة فأصبح شعاره جزيرة العرب لا شبر زيادة عليها ولا شبر ينقص منها . وليس هنـاك

من يستطيع ان يداني ابن السعود في هذا النجاح الذي احرزه ، ليس فقط في الوصول الى ما وصل اليه ، بـل في المحافظة على ما وصل اليه وسط زعازع العالم وأعاصيره التي لم تنج مـن ويلاتها امم عظيمة ضخمة كالالمان والطليان واليابان • وكادت تفقد فيها استقلالها الى الابد امة مجاورة له كايران •



الفصل الخامس

معرفتي الوثيقة بإبن السعود

- ١ -

هذا ما يقوله التاريخ عن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي اشتهر باسم « ابن السعود » . والآن فلأنتقل الى تجربتي الشخصية معه ، فعندما ذهبت لحج بيت الله الحرام عام ١٩٣٤ ميلادية او بالاحرى في أوائل ذي الحجة من عام ١٣٥٣ هجرية كانت شهرة ابن السعود قد سبقته الى اعتباره الرجل الذي أمّن الحج الى بيت الله الحرام بما لم يسبق له مثيل بعد ان كان الحج الى بيت الله الحرام يساوي رحلة الذاهب اليها مفقود والعائد منها مولود وكان المسلمون الذاهبون الى الحج يتوقعون الاستشهاد ويعدون له العدة قبل سفرهم، ومن ناحية اخرى فقد كان الحاج يأخذ معه كل زاده وزواده ، ليس فقط لمأكله هو بل لمأكل الجمل الذي حمله في رحلة الحج والتي كانت تستغرق بضعة شهور ، وقد حدثنا آباؤنا واجدادنا عن الهول الذي كانوا يلقونه إبان الحج ، والشيء المحقق ان حكومة مصر منذ عدة

قرون كانت تجهز للحج حملة عسكرية فـي كـل عام ، وكان امير الحج يعتبر اكبر قائد عسكري في مصر بعد السلطان عندما كانت مصر مستقلة وبعد الحاكم بعد ان فقدت مصر استقلالها •

ولقد عشت طوال صباي اشهد في كـل عام استعراض الجيش المصري قبل سفره الى الحج وبعد عودته منه ، وكان واسطة العقد في موكب الجيش مـا كانـوا يطلقون عليه اسم « المحمل » وهـو هودج محمول على جملين • وقد ظل هذا التقليد متبعا الى ان ألغاه ابن السعود اذ لم تعد هناك حاجة اليه بعد استتباب الامن ، ولو ان منع « المحمل » لم يمنع من السفر حسب التقليد المتبع كل عام الا بعد ان وقع حادث كادت تزهق فيه مئات الارواح لولا حكمة ابن السعود • فقد اعتبرت قبائل « الاخوان » وهم جيش الملك عبد العزيز الذي فتح به الحجاز، اعتبروا المحمل « وثنا » واعتبروا عزف موسيقى الجيش التـي راحت تعزف في « منى » جريا على عادتها احتفالا بالعيد ، اعتبروا ذلك كله « رجسا » من عمل الشيطان وهموا باستخدام القوة لتحطيم الموسيقى والعازفين الكفار وكذلك تحطيم هذا الصنم المسمى بالمحمل ، واطلقت الاعيرة النارية ، وكادت تقع الواقعة لولا ان اسرع ابن السعود فوقف بنفسه وأولاده بين الفريقين ، ولولا هذه الفعلة الشجاعة الفدائية ، لما علم سوى الله ماذا كان يمكن ان يقع • وقد ترتب عـلى هـذه الفعلة ان اوقفت مصر ارسال « المحمل » كما اوقفت ما جرت به العادة من اموال ينفق منها على الحرمين ، والصدقات الجارية ، ثم تم الصلح بعـد ذلك على ان تتوقف مصر عن ارسال الجيش المصري ، بعد ان لم يعد هناك موجب لارساله •

في ظل هذا الوفاق الجديد سافرت للحج اول مرة ، واصداء هذا الحادث الذي أشرت اليه لا تزال تتردد والاحاديث تترى عن هذا الأمان

العجيب الذي اصبح يسيطر على شبه جزيرة العرب بعامة وعلى طريق الحج بخاصة ، وكانت حكايات لا تكاد تصدق . فقد كان الحاج يذبح كما تذبح الشاة على مرأى ومسمع من الناس فلا يستطيع احد ان ينبس ببنت شفة الا اذا أراد ان يلحق به . وكثيرا ما كان الحاج يقتل لسرقة ما معه ، وحينما يكتشف القاتل ان القتيل لا يملك اكثر من « ريال » ويعاتب لقتله مسلما مؤمنا من اجل ريال ، كان جوابه « الريال » احسن منه . وكان للبدو منطق ظريف جدا لتبرير ما يرتكبونه وهو ان الحجاج وكل ما يملكونه ليسوا الا رزقا حلالا ساقه الله للبدو والاعراب ، فهم الزرع ومن حق البدو ان يفعلوا ما يشاءون بهذا الرزق الذي يسوقه الله اليهم ، وهم ما كانوا ليتوقفوا عن الاجهاز على الحجاج الا لانهم يدفعون حق الطريق . فكل قبيلة تتقاضى ثمن حماية الحجاج في منطقة نفوذها ، ولم يجرب احد ان لا يدفع .

والحديث يطول ومن اراد معرفة ما كان يحدث فما عليه الا ان يطالع احد الكتب القديمة مثل « مرآة الحرمين » . وفي مقابل هذه الحكايات ، اصبحنا نسمع عن الحاج الذي سقطت منه حقيبة نقوده ، على الطريق العام ، فظلت حيث هي عدة ايام بلياليها حتى جاء صاحبها والتقطها بنفسه لأن احدا لم يكن يجسر على الاقتراب منها ومعرفة اي شيء هي حتى لا يقع في محظور . فقد روي لنا فيما روي ان بعض الناس ابلغ عن وجود (كيس) به بلح في عرض الطريق فعرض نفسه لكثير من المتاعب : فمن اين له معرفة ان الكيس يحتوي بلحا ، وقد اتيح لي انا شخصيا ان اختبر ذلك كله بنفسي مما فصلته في كتابي « مشاهداتي في جزيرة العرب » اذ اخترقت الجزيرة من مغربها الى مشرقها ، والمهم انني عندما قمت بحجتي الاولى عام ١٩٣٤ لم يطف لي في خيال ان هذا الرجل العظيم سوف يلتقطني بفراسته من وسط مئات

الالوف من الحجاج ، وانه ستنشأ بيننا معرفة حتى آخر يوم في حياته، وأنه سيكون لعطفه علي وتشجيعه المتواصل اكبر الاثر على استمراري في الكفاح ، وفي ثقافتي الاسلامية ، واذا كنت بعون من الله اشتغل الآن بتفسير القرآن فبفضل من هذه الكتب الاسلامية الثمينة التي وهبني اياها ، فكانت هي النواة التي بنيت عليها مكتبتي •

ولكن لنبدأ القصة من أولها وكيف تعرفت اول ما تعرفت الى الرجل العظيم « صقر الجزيرة » •

– ٢ –

عندما توجهت لحج بيت الله الحرام عام ١٩٣٤ كان الملك ابن السعود قريب عهد باعلان المملكة العربية السعودية (١٩٣٢) وكان ذلك يعني استقراره نهائيا على شبه جزيرة العرب التي توشك ان تبلغ مساحتها الجزء الاكبر من اوربا ، وذلك باستثناء اليمن والمحميات البريطانية •

على ان هذا الملك الجديد لم يشأ ان يغير شيئا من عاداته البدوية منذ استرد الرياض ، وهي ان يجلس للناس طوال اليوم لا يرد عن بابه احدا ، وباستطاعة اي فرد من رعيته ان يدخل عليه ما دام كان جالسا •

وعلى الرغم من تسمية ابن سعود بالملك ، وما كانت تفرضه عليه الاوضاع الخاصة في الحجاز ، فقد ظلت التقاليد الراسخة هي التقاليد ، فلم يكن يطلق عليه اسم الملك سوى المصريين والحجاج من غير اهل البلاد • اما عند النجديين فقد بقي « الشيوخ » اشارة الى ان مجلسه هو مجلس الشيوخ •

ولكن عند الحجاج وبخاصة المصريين منهم، او بالاحرى كبار المصريين،

فان السعود ملك لا يقابله من هب ودب ، وقد كنت انا فيما يبدو (من هب ودب) اذ راح الباشوات يتهامسون حول ذهابهم لمقابلة « جلالة الملك » فلما علمت بنبأ الزيارة طلبت اليهم ان يصحبوني معهم فكادوا يعتذرون لان مقابلة « الملوك » ليست لأمثالي من الشباب الثائرين ولولا انه كان في هذا النفر رجل طيب وهو المرحوم سيد باشا خشبة لما أخذوني معهم ولضاعت مني هذه الفرصة الذهبية ، التي كانت فاتحة خير الى ما شاء الله .

في حضرة الشيوخ :

قادونا في سيارة الى قصر الملك ، وكان يقع خارج مكة ، اما اليوم فالعمران اصبح ممتدا اليه ، ودخلنا في قاعة فسيحة ، جلس الملك في ركن منها فوق احدى الأرائك « مربع الساقين » وكان وراء ظهره نافذة كبيرة يبدو من ورائها « غار حراء » في قمة هذا الجبل المخروطي الشكل ، وكان الضياء باهرا والمكان كله تغمره روح البساطة والهدوء والامان .

كان الرجل يرتدي لباسه الشهير كأي بدوي من رعيته ، هذه الشملة الحمراء المنقوطة (الغطرة) والعباءة الصوف البنية وتحتها الجلباب الابيض ، وفي اسفل الأريكة نعلاه المصنوعان من الجلد كأي نعل يحتذيه اي بدوي ، وباستطاعة اي انسان ان يشتري مثله من السوق . وكان كل ذلك جديدا علي انفعلت به اعظم انفعال ودارت في رأسي ذكريات الاسلام المجيدة ، ذكريات خلفاء لم يميزوا انفسهم عن الرعية ، ولم يكن لهم من عمل بالليل والنهار الا خير الرعية وصلاح الرعية .

وتكلم السفيرالمصري كما يتكلم الىملك، وراح الباشوات يثنونعلى الملك العظيم ، وعينهم على القاهرة حتى لا يخرج من فمهم كلمة تغضب

القاهرة او بمعنى ادق « الملك فؤاد » (١) .

وتكلم الملك وأعترف انني كنت افهم كلامه بمقتضى السياق ، فلم أكن افهمه كلمة كلمة الا عندما يقول « لا اله الا الله » وكيف انها نفي واثبات كما فهمت انه يثني على الشقيقة مصر وعلى اخيه ملك مصر .

وانفعلت بذلك كله ورفعت يدي مستأذنا ان اقول كلمة فأذن لي قبل ان يتمكن سادتنا الباشوات من الحيلولة بيني وبين الكلام ، ورحت أتكلم وأنا في ذروة الانفعال ، وانني لاذكر الآن بعد اربعين سنة بالكمال والتمام كل كلمة قلتها في هذا اليوم وأرى ان أثبت هنا فحواها لشديد صلتها بما تنعم به اليوم من بعث للعروبة والاسلام لا شك ان لعبد العزيز آل سعود وابنه فيصل من بعده الاثر الاكبر في ذلك ، قلت :

يا صاحب الجلالة

لم أملك نفسي وأنا في مجلسي هذا وأنا ارى خلفك غار حراء الا أن أعود الى الوراء ثلاثة عشر قرنا ، هنا ومن هذا المكان وهذه البقعة بالذات بقعة غار حراء أشرق هذا النور الذي اضاء العالمين وجاء للانسانية في كل العهود بما يصلح احوالها ويأسو جروحها.واذا كان المسلمون قد انحدروا الى هاوية سحيقة من التخلف والشقاق والتنابذ فليس ذلك الا لانهم القوا بتعاليم دينهم وراء ظهورهم ، هذا الدين الذي يدعو للاتحاد ، الذي يعتبر المسلمين كلهم أمة واحدة لا فضل لأحد الا بصالح الاعمال ، هذا الدين الذي يدعو للاخذ باسباب القوة ، والعلم اول اسباب القوة ، واليوم ونحن نرى ملكا اسلاميا ، يجلس بكل هذه

---

(١) كان الملك احمد فؤاد يرى في ابن السعود حجر عثرة في سبيل اطماعه مما لا محل لسرده .

البساطة ليحدثنا عن التوحيد والوحدة ، يحدثنا عن الفداء والتضحية ، يحدثنا عن الاخذ باسباب القوة والوقوف صفا واحدا فلنا ان نتفاءل ان غدنا سيكون خيرا من يومنا ، ومستقبلنا سيكون خيرا من حاضرنا التعس .

فامض الى الامام راشدا ايها الملك العظيم ، امض في دعوتك للاخوة ، للتعاون ، للنهوض ، والله معك والله يرعاك .

صفحة جديدة :

وجلست بعد ان قلت كلمتي وانا الهث من فرط الانفعال والخجل ، ولم يدر لي في خيال انني بهذه الكلمة قد فتحت امامي بابا عريضا من الخير والرجاء سأظل انعم به ما بقي عبد العزيز آل سعود حيا ، وما بقي في قدرتي ان اذهب اليه في الجزيرة العربية .

- ٣ -

في كتابي « مشاهداتي في جزيرة العرب » تفصيل للفتوح الروحية والمادية التي فتح الله بها علي في حجتي الاولى والمرات التي حججت فيما بعد ذلك ما بقي ابن السعود على قيد الحياة ، والذي يعنيني هنا أن أسجله انني عندما ذهبت للحج اول مرة ، كان ذلك هربا من الجهاد والكفاح فعدت من هذه الرحلة وانا اشد ايمانا واصرارا على مواصلة الكفاح ، ولا شك ان مرجع ذلك كان هو ما أفاءه الله عليّ من نعم ، وكانت كبرى هذه النعم هو انفتاح قلب ابن السعود لي ، لقد ضغط على يدي وانا أصافحه عقب هذه المقابلة التي تحدثت عنها وقال لي انه يرغب في رؤيتي مرة أخرى على انفراد .

وفي هذه المقابلة الاخرى طلب مني ان اعتبر نفسي ابنا له ، وفي

اي امر احتاج فيه الى معونة فلا ألجأ بعد الله الا اليه • وأشهد لقد وفي بهذا العهد ، فما قصدته في امر وخيب رجائي ابدا • لقد عدت الى الحجاز ثانية وثالثة ورابعة وصحبت في بعض المرات زميلين لي في الجهاد (١) ، وفي مرة اخرى والدي ووالدة الدكتور محمد حلمي مراد (٢) ، وفي احد المرات (٣) رأيت أن أجوب انحاء الجزيرة من الغرب الى الشرق فقصدت الطائف ثم اخترقت نجدا حتى وصلت الى الرياض ، ومنها الى منطقة الشرق حيث الظهران والدمام ثم منطقة الاحساء وعندما عدت من جولتي قابلني الملك عبد العزيز في جدة بابتسامة عريضة وهو يقول « اهلا بالنجدي » •

وأنا أقص ذلك لاظهر كم كان بي حفيا ولم أكن سوى واحد من مئات عرفهم عن طريق موسم الحج في طول العالم الاسلامي وعرضه ووقف خلفهم يشملهم بتشجيعه وعونه ، وكان لا يخطئني مهما غبت عليه بالعامين او الثلاثة اعوام ، فلا تكاد عيناه تقع علي وسط الحشود التي تتزاحم للسلام عليه ، حتى يشرق وجهه بالابتسام ، وحتى افهم من ضغطة يده على يدي انه قد عرفني •

والحكايات عن ابن السعود كثيرة ، ولقد كتب عنه الغربيون كتبا كثيرة بمختلف اللغات كما كتبوا عن مصطفى كمال (اتاتورك) وفي عالمنا المعاصر لمعت اسماء كهتلر وموسوليني ، ثم خبت واشرقت اسماء اخرى مثل ستالين وتشرشل وروزفلت ، ولكن هذه الاسماء ستذهب او بالاحرى ستذكر كنجوم الى جوار نجوم اخرى في بلادها ، ولكني

---

(١) هما الاستاذان عبد الحميد المشهدي والمرحوم محمود مكي .
(٢) هي السيدة جلفدان حلمي والدة زوجتي .
(٣) صحبني في هذه الجولة الاخ محمد حلمي الغندور .

لا أحسب أنه يوجد في شبه جزيرة العـرب بالذات مـن يمكن ان يقارن بعبد العزيز آل سعود باستثناء فترة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، فبالنسبة للخلفاء الراشدين فهم فوق المقارنة اذ فتحوا الدنيا المعروفة في هذا الزمان ، وبالنسبة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد كان اعظم ما يعتز به عبد العزيز آل سعود انه واحد من اتباع محمد يسير على سنته ويرفع لواءه ويضرب بسيفه ، وبقدر تفـانيه واخلاصه للتوحيد والاسلام ونبي الاسلام ، كان نجـاح عبد العزيز آل سعود وانتصاراته التي أعادت الى الجزيرة العربية ثقلهـا في شئون العـالم ، ليس فقط مـن الناحية الروحية بالنسبة للمسلمين ، بـل ومـن الناحية المادية البحتة كما سوف نرى عندما نتعرض للحديث عن سلاح البترول الذي استعمله فيصل فرجّ العالمين ، وسنرى ان الفضل كل الفضل في استعمال هذا السلاح سيعود الى عبد العزيز الذي هيأ ايجـاد السلاح ابتداء ثم الى ولده وتلميذه الذي تلقن مـن أبيـه كيف يجيـد استعمال هذا السلاح .

روزفلت وتشرشل :

ويظهر ان العظمة تفرض تقديرها على العظماء ، فقد خرج الحلفاء منتصرين من الحرب ، وراح رؤساء الدول المنتصرة يرسمون العالم كما يريدون ، لا يقوم الا ما يوافقون على قيامه ، ويجب ان يزول ويختفي ما لا يرضون عنه .وراحوا يخططون لعـالم ما بعد الحرب ، وميثـاق سان فرنسسكو الذي سيكون أساسا لمنظمةالامم المتحدة، والتي ستتشكل ممن اعلنوا الحرب على دول المحور . وتلفت روزفلت وتشرشل حـولهما فلم يجدا المملكة العربية السعودية ستكون واحدة من الدول المؤسسة لهيئة الامم ذلك ان اسد الجزيرة العظيم استطاع ان يبقي بـلاده خارج النزاع مما سأعرض له ، وعز على روزفلت وتشرشل ان لا يكون ابن

السعود معهما فأقدما على اجراء عجيب وهو ان يتيحا الفرصة امام ابن السعود ليعلن الحرب . لقد كانت الحرب انتهت بالفعل وكانت الاستعدادات تجري لتنظيم عالم ما بعد الحرب ، ولشدة الرغبة في ان يكون ابن السعود معهم جعلتهم يمدون اجل اعلان الحرب حتى بعد ان انتهت بالفعل ، وأعربوا عن رغبتهم في مقابلة الملك عبد العزيز ، ويقينا لو ان الملك عبد العزيز دعاهم لمقابلته على اي بقعة من الجزيرة العربية ، لأجابوا الدعوة وهم في منتهى السعادة ، ولكن الرجل العظيم اختار ان يقابلهم في مصر ، لا في عاصمتها ، ولكن في بقعة صحراوية أقرب ما تكون الى طابع بيئته ، فكان ان استقر الرأي ان يكون اللقاء في « اوبرج الفيوم » وهو فندق يطل على بحيرة قارون ويجاور الصحراء . والذي يعنينا ان عبد العزيز آل سعود لم ينخلع قلبه من تشرشل وروزفلت اللذين كانا قد اصبحا سيدي العالم ، بل انه فرض عليهما احترامه فرضا فلم يغير شيئا من عاداته او تقاليده ، فضلا عن طعامه وشرابه ، وكانا هما اللذان غيرا من كل أساليبهما في التعامل وكان عليهما ان يتوددا للرجل العظيم بأسلوبه ، وما دام الاسلام يحرم الخمر، فلتخل مأدبة الغداء التي اقامها من الخمر ، ويحدثنا مايلز لامبسون سفير انجلترا في مصر والذي كان مرافقا لتشرشل ، يحدثنا في مذكراته كيف هرع تشرشل بعد عودته الى السفارة يعب الخمر التي حرم منها لاول مرة في حياته على مائدة عبد العزيز آل سعود ، ويحدثنا عن اعجاب تشرشل الذي لا حد له بابن السعود . اما روزفلت فقد كان اعجابه اعظم وكان يهنيء نفسه انه صديق لابن السعود .

والذي يعنينا من ذلك كله ، انه بالرغم مما فعله روزفلت وتشرشل لتكريم عبد العزيز آل سعود فلم يستطيعا ان يحصلا منه على وعد باعلان الحرب بهذه الصورة الشكلية التي لا تكلفه شيئا الا معلقا على شرط ، وهو ان تسبقه مصر لفعل ذلك ، وهكذا كان على الحلفاء ان

يطلبوا من مصر ان تعلــن الحرب (الصورية) اولا ، كي يعلنها عبد العزيز ، وهو ما حدث بالفعل .

لماذا مصـر ؟

ولا يملك الانسان الا ان يحني رأسه لهذه البصيرة التي لا تتوفر الا للعظماء المخلصين ، فروزفلت وتشرشل ما كانا ليميزا شعرة من رأس عبد العزيز بقدر ما كان يميزها تضامن المسلمين ووقوفهم صفا واحدا ، وقد كان عبد العزيز قد تقابل مع فاروق (ملك مصر) واتفقا على ان تكون لهما سياسة موحدة وما كان الرجل العظيم اذا وعد الا ان ينجز وعده .

ووقوف السعودية ومصر ، صفا واحدا وجبهة واحــدة هو حجر الزاوية في اي نهضة عربية فضلا عن اسلامية ، وقد شقي العرب عندما تصدعت هذه الجبهة ايام حكم جمال عبد الناصر وعزوا وسادوا عندما قويت هذه الجبهة على يد السادات وفيصل .

— ٤ —

في الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم الاثنين من شهر ربيع الاول سنة ١٣٧٣ هـ (٩ نوفمبر ١٩٥٣) انتقــل الملك الصالح الرشيد اعظم من عرفت جزيرة العرب بعد سيدنا رسول الله (الخارج عن كل مقارنة) وبعد الخلفاء الراشدين ، ونعني به عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود ، انتقل الى رحمة الله ، ومن أراد أن يعرف حياة هذا العملاق ماديا ومعنويا فعليه بكتاب « صقر الجزيرة » تأليف العالم والمؤرخ والاديب احمد عبد الغفور عطار ، ولكن من حق التاريخ علي ان اسجل بعض عبارات قيلت لي انا شخصيا وان اسجل بعض ملاحظات جرت امــامي .

كيف وقف على الحياد :

ولعل اهم موقف شرحه لي باستفاضة ان يقف على الحياد في الحرب العالمية الثانية ، بحيث كانت جدة هي المكان الوحيد في العالم العربي الذي ظل به ممثل دبلوماسي لالمانيا ولانجلترا في الوقت نفسه وقد كان ذلك يعتبر اعجازا في هذه المنطقة من العالم .

قال لي رحمه الله وكنا لا نزال في عام ١٩٤٠ « طلب السفير الالماني مقابلتي ، فرحت اتحدث امامه عن الصعوبات التي تحيط بلدي وكيف ان الانجليز بسلطانهم ونفوذهم في العالم الاسلامي واسطولهم في البحر يستطيعون ليس فقط حرمان الجزيرة من حجاج بيت الله الحرام الذين هم مصدر رزق شعبه ، بل ان بقدرتهم منع حتى لقمة الخبز التي تجيء من خارج الجزيرة ، فقال السفير الالماني : نحن نقدر هذه الصعوبات ، ولذلك فكل الذي نطلبه هو ان لا تكونوا أعداء لنا ، فقال ابن السعود : اما هذا فانا اعد به » .

والسفير البريطاني :

وجاء السفير البريطاني فقال الملك : ان خير ما انصح به هو ان تتركوا بلادي على ما هي عليه من هدوء وسكينة فان العالم العربي من حولي يموج بأشد الانفعالات والتوترات واخشى ما اخشاه اذا انا تحركت اي حركة ان ينفجر برميل البارود من حولي وأغرق أنا وأنتم في صعوبات ومشاكل لا يعلم سوى الله اين تنتهي بنا .

قال السفير البريطاني : ان بلادي تقدر ذلك تماما ، كل الذي نرجوه ، ان لا تقف بلادكم منا موقفا معاديا ، وأسرع ابن السعود ليقول : اما هذا فأعدكم به .

وهكذا استطاع عبد العزيز ان يحتفظ ليس فقط باستقلاله الكامل

وحياده بل وان يكون موقفه هو محل رضا وترحيب مـن الطرفين ، وهو شيء لم يكن له مثيل في اي ركن آخر من اركان العالم ولا عجب في ذلك فعبد العزيز كان شيئا فذا .

هذا لا يليق بـك :

اصطحبت معي في احدى المرات احد علمائنا الافاضل (بناء على طلبه ، وبعد ان استأذنت جلالة الملك في اصطحابه) ولم يكد الملك يمد يده لمصافحة العالم ، حتى راح يقبل يد جلالته ، وغضب جلالـة الملك وانهال على صاحبي بالتأنيب والتعنيف ، انه (اي صاحبي العالم) طالب علم ، وطالب العلم قد كرمه الله ورفعه مكانا عليا فليس يليـق بطالب العلم ان يقبل يد انسان كائنا ما كان ، وعن نفسه (اي عبد العزيز) فهو لا يسمح طوال اقامته في نجد ان يقبل احد يده ، اما عندما يأتي الى الحجاز فهو يخشى ان يفسر سحب يده ممن يقبلها انه غاضب عليه.

نزل هذا الدرس القاسي علـى صاحبي بردا وسلاما على قلبي ، فقد كنت شابا ولكني لو كنت يومها بسني الحاضرة وتجاربي لكنت انا الذي ابادر لتقبيل يـد عبد العزيز تعبيرا عـن التكريم له لما افاء الله على يديه من خير للاسلام والمسلمين .

اول مـا يخربط يخربط عليك :

عرف المقربون الى جلالة الملك من ناحية والمحيطون بي من ناحية اخرى مـا اصبح لي من مركز اثير عنـد جلالـة الملك ، فبدأ البعض يوسطني في بعض المسائل.وفي ذات مرة وسطني عـالم جليل كان قد أثار حـول نفسه بسبب تطرفه فـي جزئيات مـن الاسلـوب الوهابـي بعض الصعوبات ، ولما كان جلالة الملك يعالج كل شيء بالحكمة ، فقد قضى بابعاد العالم الفاضل من المدينة المنورة وفرض عليه الاقامة في مكة.

فانتقل اليها معززا مكرما يتقاضى راتبه بالكامل ويدرس في الحرم الملكي • وطلب مني العالم (وكان صاحبي) ان اخاطب جلالة الملك في، ان يسمح له بالانتقال الى مصر ليعيش فيها ما بقي من حياته (تصورا من صاحبي ان عودته للمدينة غير ممكنة) ولم أكد أفاتح الملك في هذه القضية ، حتى قال لي انه يعرف صاحبي هذا تماما وانه لو اجابني الى طلبي لأساء الي بذلك • انه لو سمح لصاحبي هذا بالسفر الى مصر « فأول ما يخربط حيخربط عليك » •• وفهمت من كلمة يخربط معنى الاختلاف، ومضى الرجل العظيم يقول لي : ولكن ليس عندي مانع ان يعود الى المدينة •• وقد كان وعاد صاحبي الى المدينة حيث توفي بها يرحمه الله •

بعض مـن كل :

هـذه بعض مـن المواقف التـي شهدتها بنفسي ، وفي كتـابي « مشاهداتي في جزيرة العرب » بعض مشاهـد اخـرى ، ولذلك فانـي اكتفي الآن بذكر ما ذكرت علـى سبيل الاشارة ، لاتحدث بالمزيد عنه من خـلال حديثي عن ابنـه فيصل والذي هو الثمرة الناضجة لهـذه الشجرة المباركة بحيث ان كل حديث عنه هو حديث عن ابيه ، كما ان كل حديث عن ابيه هو حديث عنه • فاذا كان قد قيل ان الولـد سر ابيه ، فان هذا القول لا يتحقق مثلما يتحقق في فيصل بن عبد العزيز ، فهو ليس استمرارا وامتدادا لابيه فحسب ، بل هو التتويج لعظمة ابيه ، فقد كان يمكن ان يمضي عبد العزيز آل سعود كتابـا لا يـزال ينقص فصلا ، فجاء فيصل بموقفه الاخير يكمل هـذا الفصل فيبعث الكتاب المجيد بعثا ، ويكمل الجهود التي بدأها والده في خدمة قضية فلسطين والعرب والمسلمـين •

القسم الثاني

الإبن والتلميذ والبطل

فيصل بن عبد العزيز



فيصل ... الملك الورع



الملك فيصل ـ وليا للعهد ـ في فندق ميناهاوس

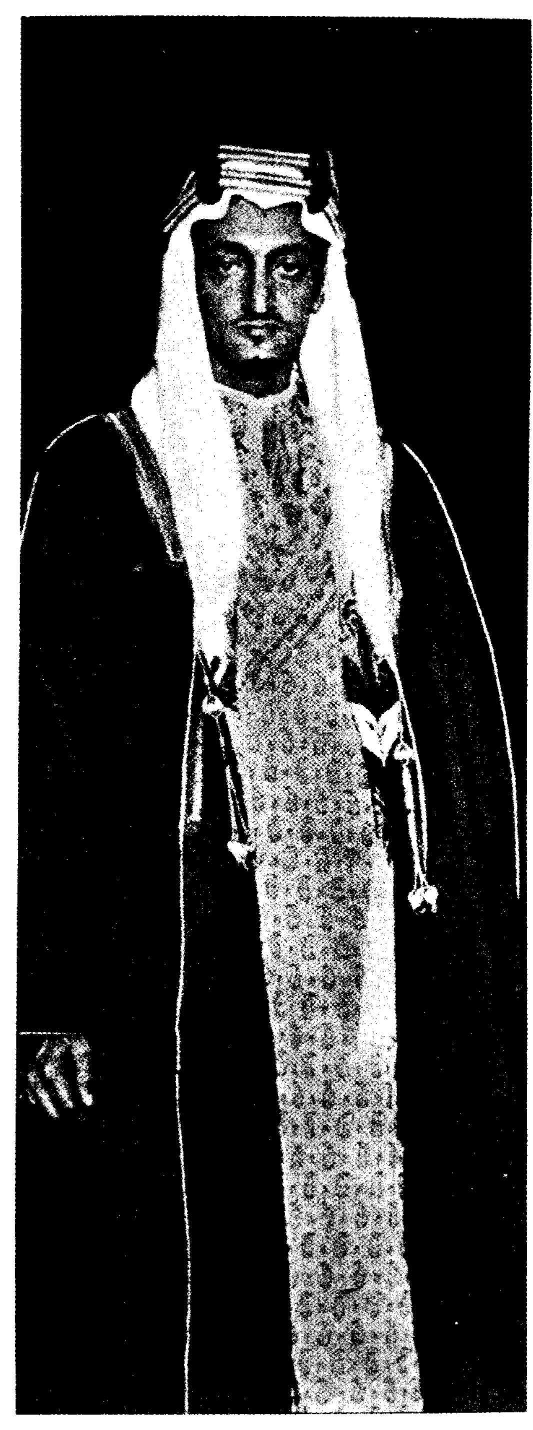


الملك فيصل ـ يقبل الحجر الاسو









جلالة الملك فيصل أميرا ـ عام ١٩٢٦



جلالة الملك فيصل وزيرا للخارجية



صورة لجلالة الملك فيصل فوق ناطحة سحاب
في نيويورك عـــام ١٩٤٥م ـ ١٣٤٢هـ

نبذة

عن حياة الملك فيصل

- ١ -

ولد الملك فيصل بن عبد العزيز في عـام ١٣٢٤ هجرية اي فـي مطلع القرن العشرين الميلادي ، اي انـه صاحب أباه مدى نصف قرن وسنرى انه ابتداء من العقد الثاني من حياته سوف يشركه ابـوه في الحياة العامة ، بحيث يصبح بصره الذي يمده الى الآفاق البعيـدة ، وسوف نرى انه رباه وأعده خير اعداد للزعامـة والقيادة وهيأ له من الاسباب ما مكنه فـي الوقت المناسب مـن تأدية هذا الدور الحاسم في تاريخ العرب والمسلمين . على انه سيبقى للوراثة دائما هذا السر العميق الذي يجعل الكائن الحي هو من هو ، وقد ورث فيصل ما ورث لا عن ابيه فحسب ، بل انه ورث عن طريـق والدته خصائص العنصر الثاني الذي قامت عليه النهضة السعودية وأعني به محمد بـن عبد الوهاب الذي نسبت اليه النهضة السعودية في بادىء الامر فسميت «الوهابية».

فالملك فيصل هو ثمرة زواج عبد العزيز آل سعود بحفيدة لمحمد

ابن عبد الوهاب.فهي كريمة الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف صاحب المؤلفات الدينية الشهيرة والذي هو بدوره سليل الرائد الديني العظيم. وهكذا التقى في فيصل السيف والكتاب ، فلا عجب ان كان هذا المزيج الرائع الذي اهله لفعل ما فعل .

رحلة مبكرة الى اوربا :

قدمنا ان الملك فيصل ولد في شهر صفر عام ١٣٢٤ هـ وقلنا اي انه ولد في أوائل القرن العشرين فثمة فروق كما نعرف بين السنة الهجرية والسنة الشمسية ، فعندما يقول لنا التاريخ ان عبد العزيز قد أوفد ابنه الى لندن عام ١٩١٨ م فان ذلك معناه ان سنه كانت تتراوح بين ١٤ و ١٥ سنة شمسية .

اما لماذا بعثه ابوه الى لندن فقد كان ذلك لينوب عنه في تلبية دعوة تلقاها عبد العزيز من ملك انجلترا جورج الخامس،فسافر فيصل في هذا الوقت المبكر على رأس وفد ، وابان اقامته في انجلترا دعته فرنسا ليزورها كذلك ، وهكذا طاف ارجاء انجلترا وفرنسا معاعقب الحرب العالمية الاولى فرأى وسمع وعاين وقابل شخصيات اوربا ، وباستطاعتنا ان نتصور ما الذي تحدثه مثل هذه الرحلة في نفس شاب في مستهل حياته من تفتح وظمأ للمعرفة والتعلم .

ونجد انفسنا مضطرين للتساؤل : ولماذا كان فيصل بالذات وليس سعود وقد كان هو الابن الاكبر ، وهنا تتجلى فراسة عبد العزيز فلا بد أنه توسم في فيصل ما افتقده في سعود ، وقد أتيح لي في اثناء زيارتي للرياض عام ١٩٤٩ ان اتعرف الى سعود الذي كان وليا للعهد واشهد لقد كان بي حفيا وتصرف معي بكرم كما كان شأن والده معي ، ولكن الايام والتجربة أثبتت ان فيصلا وليس سعودا هو الذي كان امتدادا لوالده وهو الذي حفظ للدولة وحدتها واندفاعها ، ومن هنا

نقدر بعد نظر عبد العزيز عندما راح منذ هذا الوقت المبكر في اعداد فيصل للدور العظيم الذي ينتظره •

الاعداد العسكري :

واذا كان عبد العزيز قد شرع في اعـداد فيصل للسياسة الخارجية طبقا لروح العصر فهو لم يفته ان يعده الاعـداد العسكري فجعله في صباه المبكر يشيد المواقع : فكان ان حضر موقعة « ياطب » الـى الشرق الجنوبي مـن بلدة حائل عاصمة ملك آل الرشيد ، حيث دارت عليهـم الدائرة وقد حدث هذا في عام ١٣٣٦ ه اي لـم يكن عمر فيصل يزيد على اثنتي عشرة سنة • ونراه لا يكاد يعود من اوربا مـن هذه الرحلة التي أشرنا اليها حتى وضعه على رأس جيش وسيره الى منطقـة عسير لاطفاء فتنة شبت بهـا ، واضطلع فيصل الشاب بالمسئولية التي انيطت به ونجح في مهمته •

وعاد فائزا منصورا •

— ٢ —

وهكذا منذ بلغ فيصل سن التمييز ، بـدأ أبوه يسوقه الـى المعامع في ساحات القتال ، ويخرجه الى ميدان العـالم الفسيح يعب منه عبا ، ثم جاءت اللحظة التي عهد اليه فيها بأكبر مسئولية في الدولة الجديدة ، وهي مسئولية حكم الحجاز ويا لها مـن مسئولية • كان ذلك فـي ٢٥ جمادي الاولى سنة ١٣٤٣ هـ الموافـق ٨ يناير سنة ١٩٢٦ م حين بويـع عبد العزيز آل سعود ملكا على الحجاز ، فاختار ابنه فيصل على الفور ليكون نائبا له على الحجاز بينما كر هو راجعا الى نجـد او بالاحرى الرياض ، وسرعان ما سد فيصل الفراغ • حقا لقد كان لـه من هيبة أبيه

وحكمته عون على اداء هذه المأمورية ومع ذلك فما كان بقادر على ان يستمر فيها السنين الطوال التي دامت ربع قرن لو لم يكن فيه من الحنكة والقدرة ما يؤهله للاضطلاع بهذه المأمورية الصعبة ـ ذلك ان الحجازيين فخورون بانفسهم فهم سدنة بيت الله الحرام ومثوى قبر الرسول ومسجده وبلادهم مهوى افئدة المسلمين من مشارق الدنيا ومغاربها ، وقد كان الخلفاء منذ اقدم العصور يهابونهم ويبالغون في ارضائهم ، واضاف الشريف حسين في الفترة التي تخللت الحرب العالمية الاولى بعدا سياسيا جديدا لهذه المكانة ، اذ جعل من الحجاز قلب حركة عربية نابضة تسعى لتوحيد المشرق العربي كله في ظل دولة عربية عملاقة ونودي بالشريف حسين ملكا ، فعليك ان تتصور كيف ينهار ذلك كله ويتحول الحجاز الى امارة تتبع نجد ، وهي البادية التي عاش الحجاز منذ بزغ فيه نور الاسلام يتعالى عليها . الحق انها تجربة لم يسبق لها مثيل في التاريخ وان الانسان ليعجب اشد العجب كيف مرت هذه التجربة بنجاح وكيف استطاع فيصل ان يقنع الحجازيين بحكمه بل وان يحملهم فوق ذلك على حبه .

ولقد عاصرت انا هذه المعجزة ابتداء من حجتي الاولى عام ١٩٣٤ حين لم اكن اسمع الا ثناء على فيصل ، كان كل من تتصل بهم يحدثوننا بتحفظ عن الملك ، حتى اذا وصل الحديث الى نائبه على الحجاز فيصل ارتفعت حرارة الحديث وترددت كلمة الحب الذي يحمله الحجازيون لفيصل . وغني عن البيان ان هذه مكانة لا يرقى اليها أي حاكم الا اذا اشتهر بالعدل والتسوية بين الكبير والصغير ، بالاضافة الى السماحة والبشاشة ولين العريكة . هذا كله مع الاستقامة الشخصية والتدين والورع ، ويبدو ان هذه الخصال كلها توفرت في فيصل مما جعل اباه يختاره ليكون صنو نفسه . ولا بد انه لم يصدع رأس ابيه بمشكلة

واحدة والا لما أقره في منصبه اكثر من عشرين سنة بغير انقطاع ، بل ويضيف اليه منصبا لا يقل عن نيابة الملك من حيث الدقة .

وزير الخارجية :

في سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٠ م) انشأ الملك عبد العزيز وزارة الخارجية فعهد بها الى فيصل منذ اليوم الاول بالاضافة الى عمله الاصلي كنائب للملك ، ومرة اخرى اضطلع بالعبء الملقى عليه على اكمل وجه ، ولن اسأم من الاشارة الى وجود والده خلف كل اعماله فهو الذي يصدر القرار الاخير دائما ، ومع ذلك فلا مناص من التذكير ايضا بأن والده ما كان ليبقيه في منصبه ،بدون تغيير، السنوات الطويلة ، لو لم يأنس فيه القدرة والكفاءة وانه ترجمان لما في نفسه وأبهى صورة يبدو فيها عبد العزيز في المعترك الدولي .

وهكذا بدأنا نرى فيصلا يمثل الدولة الفتية في علاقاتها مع دول العالم كبراها وصغراها ، فنرى توقيعه على معاهدة جدة التي وان سبقت تعيينه وزيرا للخارجية ، اذ انها ابرمت عام (١٩٢٧ م) فيجب ان تحسب في عداد اعمال وزير الخارجية ، ومعاهدة جدة هي المعاهدة التي نظمت العلاقات بين السعودية وانجلترا .

وراح وزير الخارجية الجديد يطوف العالم شرقا وغربا ، فزار عواصم اوربا كلها تقريبا ، حتى موسكو نفسها زارها قبل الحرب العالمية الاولى فكان محل حفاوة بالغة ، حتى اذا فكرت انجلترا في عقد مؤتمر مائدة مستديرة في لندن عام ١٩٣٩ لمحاولة حل قضية فلسطين كان هو على رأس المشتركين فيها .وعندما تأسست هيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٥ كان هو احد الموقعين في نيويورك على ميثاق تكوينها .

وهكذا ما دعيت المملكة العربية السعودية الى محفل دولي او

مؤتمر عالمي من اي نوع كـان الا وفيصل هـو رجـل السعودية : فمن ميثاق الجامعة العربية ، حتى مؤتمر باندونج لا نرى او نسمع عن غير فيصل • واذا كـان عبد العزيز كما قدمنا هو الذي يصدر القرارات ويوجه ، فان ذلك ما كان يتم بكل هذه السلامة لو لم يكن فيصل هو عينه التي بها يرى وأذنه التي بها يسمع ، ويده التي يمدها وقدمه التي يسعى بها ، اي انه من حق فيصل بلا شك او شبهة ، ان نقـول ان له نصيبا لا يستهان به في حكم أبيه الموفق •

التواضع والبساطة :

وقد بقي لأختم هذا الجزء ان أسجل تجربتي المثيرة بالنسبـة لهـذه الشخصية• فلم يحدث ان زرت السعوديةالا فيموسم الحج، حين كانالملك عبد العزيز يحضر الى الحجـاز ليشهد الموسم فيصبـح هو المقصـد لكل وافد ، والمدير لكل امر فكان يروعني استمساك فيصل بالتقـاليد النجدية الموروثة ، وهو ان لا يجلس الأبناء في حضرة والدهم ، ويقينا ان عبد العزيز كان عنده من الكياسة والحصافة وحسن التقدير ما يجعله يقدر عدم ملاءمة هـذا التقليد لابن جعل منـه نائبا للملك ووزيـرا للخارجية يظل واقفا في حضرته ، واغلب ظني ان فيصل انما يفعل ذلك طواعية واختيارا عـن رضا واقتناع بالتقاليد وهو مـا يدل علـى ان ضخامة المناصب التي تولاها والشخصية العالمية التي اصبح يمثلها لـم تغير طبيعته الاصلية في التواضع والبساطة والزهد والورع •

— ٣ —

رئيس الوزارة فالملك

اذا كانت الدولة العظيمة التي أقامهـا الملك عبد العزيز قد عاشت

حتى الآن وازدادت مكانة وهيبة لا في العالم العربي والاسلامي فحسب بل في الدنيا كلهـا ، فذلك بفضل انسان واحد بلا جدال أو شك وذلـك الانسان هو فيصل بن عبـد العزيز آل سعود • وقـد كان كل من في الجزيرة العربية يتوقع انه لا تكاد شخصية عبد العزيز العملاقة تختفي حتى يدب الخلاف بين فيصل وسعود وتغرق الجزيرة فـي حرب اهلية بين الاخوين ، فقد رأينا كيف ان فيصلا خلال عشرين سنة من حياة ابيه ، كان يؤلف قوة الدولة في القطـاع الغربي (الحجاز) كما كـان يدها المبسوطة للعالم كله ، ومن ناحية اخرى كان الامير سعود لكثرة اقامته في نجد قد وطد علاقته بقبائل نجد على الطريقة البدوية المألوفة • ومـن هنا كانت كل الحسابات والتوقعات تنتهي الى حتمية الصراع بين سعود وفيصل ، وسنرى ان هذا الصراع قـد وقع بالفعل ، ولكـن بفضل شخصية فيصل العجيبة ، جعله صراعا مـن جانب واحد فقط ، اي من جانب سعود ، ولما كان اي صراع يعني جبهتين فقد كانت الجبهة الثانية في مواجهة سعود هم امراء البيت المالك بالاجمـاع والعلماء والجيش ومجلس الشورى والشعب • فاذا عجبت كيف استطـاع سعود ان يقف امام كل هذه القوى وهي كل الدولة ، فالجواب على ذلك عند فيصل فقد اجمع هؤلاء على تنحية سعـود وتولية فيصل ، فكان فيصل هو الذي يرفض وبكل اباء حتى لا يعرض البيت السعودي للانقسام ••

فلما تدهورت الامور العامة من ناحية ، وساءت صحة سعود من ناحية أخرى ، وتأكد لفيصل من ناحية ثالثة ، ان خلع سعود وتوليه الملك بدلا عنه لن يحدث اي بلبلة او اضطراب من اي نوع كان ، هنا وهنا فقط قبل فيصل ، ان يتم التغيير وان يخلع الملك سعـود ويبايع هو ، وليس أدل على ان الملك فيصل لم يقبل ما قبل ، الا بعد ان تأكد له ان سعودا نفسه قـد اقتنع اخيرا ان لا مناص من هـذا الاجراء • ان ابناء الملك سعود بايعوا الملك فيصلا فيمن بايع ، حتى الملك سعـود نفسه ارسل

لفيصل يبايعه ويناديه بجلالة الملك ثم يغادر البلاد طائعا مختارا ، معززا مكرما ، ومصطحبا معه امواله •

والحق ان هـذه قصـة فريـدة لـم يسمـع التاريـخ بمثلهـا ، ويقول البعض ان مـا حـدث هـو نتيجة دهاء فيصل ، وأنعم بـه مـن دهاء ذلك الذي يبقي على البيت الواحد متماسكا ، وعلى الدولة وحدتها ومواصلة سيرها نحو تحقيق اهدافها ، وسنرى ان ذلك ما كان متوقعا له ان يتم ، عقب وفاة عبد العزيز مباشرة فما كـان باستطاعة سعود ان يشرف على ادارة هذه الدولة العظيمة مـن الناحية الروحيـة ، وكان اكتشاف البترول فيها بهذه الغزارة الخرافية ، يوشك ان يجعلها عظيمة من الناحية المادية كذلك ، ما كان سعود بقادر على ادارة دفة الامور لولا انه من اللحظة الاولى عهد الى فيصل برئاسة الوزارة وارتضى ان يطلق يده في ادارة الدولة ، فسار كل شيء علـى ما يرام ، الى ان تحركت عوامل الغيرة في نفس سعود فتصور انه قادر على ادارة الامور فيروح يتدخل فلا يزيـد فيصـل عن ان يتنحى مستقيلا ، فتضطرب الامـور اضطرابا عظيما ، اذ يتصرف سعود بغير ضابط او رابط فتسوء الحالـة العامة حتى لتنذر بالخطر علـى سعود نفسه ، فيستغيث الكل بفيصل فيعود الى استئناف القيادة بعـد ان يتم الاتفـاق على ان يقنع سعود بمنصبه كملك له على الجميع حـق الولاء والاحترام علـى ان يترك تصريف الامور للرجل القادر علـى تصريفها ، وتعـود الامور للسلام والاتساق ويعود لسعود تصوره أنه هو وحده صاحب الحق في تسيير الامور فتعود لاضطرابها •

الى ان كـان هـذا الـذي ذكرنـاه مـن قبـل مـن اجمـاع الامـراء والعلماء والجيش والشعب عـلى وجوب خلـع سعود نهائيـا ومبايعة فيصل • وفي كتاب « فيصل العظيم » تأليف صديقي المرحـوم

امين سعيد مؤرخ العروبة والعرب في العصر الحديث تفصيل كامل لهذه الملحمة « الصامتة » بين فيصل وسعود وانا اسميها صامتة لانه ليس فقط لم يرفع فيها سلاح ، بل انه لم يتلفظ فيها بكلمة فضلا عن ان يقوم بأي «تحرك » ولو بسيط او تافه لا يكون فيه احترام لسعود ومع ذلك فقد كانت الملحمة تدور بكل قوة وعنف بين الاخوين حيث ورث احدهما كل خصائص ابيه في الحكمة والسياسة والكياسة والاعتدال ، ولا يملك الآخر من ذلك كله شيئا الا انه الابن الذي رزق به عبد العزيز اولا ، ولم يحاول فيصل ان ينازع لحظة في هذه الاولية ، فاذا كانت الامور قد انتهت الى ما انتهت اليه فليس ذلك الا تطبيقا للناموس القائل ان البقاء للاصلح هو ما عبر عنه القرآن الكريم يقول « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » .

واذا كان لنا من كلمة نختم بها هذا الفصل فهي ان فيصلا عندما كان ينأى بنفسه عن ان يدخل في خلاف مع اخيه حينما كانت كل العناصر تؤيده لم يكن يعرف ان الله سيطيل في حياته ، وسوف يموت سعود قبله . فاذا كان ذلك قد حدث فبارادة من الله عز وجل ، ليلعب فيصل دوره التاريخي الذي جعلني اكتب هذا الكتاب .





حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز

أثناء توليه أعباء الملك

الفصل الثاني

الـــذروَة

أصل الآن الى الذروة التي وصل اليهـا فيصل والتي لولاها لما كتبت هذا الكتاب فأنا اصبحت رجلا لا مأرب لي في شيء ولا مطمـع في اي عرض من اعراض الدنيا فانا رجل قعيد بيتي عاجز مشلول ، كل ما بت أفكر فيه هو ان انتقل الى جوار ربي في يسر وسـلام ، ولكني من ناحيـة اخرى أرى ان في ابقاء الله علـى عقلي سليما وقدرتـي عـلى الكتابة تكليفـا إلهيا أن أواصـل الكتـابة في ما أحس بفائدته وجدواه من ناحيـة وان أسجل للتاريـخ مـن ناحيـة أخرى ، وكلا الامرين يدفعاني للحديث عن فيصل كما تحدثت عن السادات.ذلك ان مسار التاريخ قد تحرك نحو الاحسن بالنسبة للعرب والمسلمين .

– ١ –

قطع النفط عن امريكا

واذا كان التاريخ سيحفظ للسادات والاسد ومن ورائهما الجيشان المصري والسوري انهما كسرا شوكـة اسرائيل العسكريـة وحطما خرافتها ، فان فيصلا ومعه بقية أمراء الجزيرة هم الذيـن عزلوا امريكا

عن اسرائيل ، بل عزلوها عن العالم كله ، وهذا موقف سيكون له ما بعده خلال خمسين سنة قادمة . فحق للاجيال القادمة ان نفصل لها نحن المعاصرين كيف استطاع فيصل ان يقوم بهذه الضربة التي اذهلت امريكا ودوختها .

والناس يتحدثون اليوم بما يشتم منه تقليل ضخامة العمل الذي قام به ، بعد ان انتهى كل شيء ، وتوشك العلاقات الطيبة بين فيصل والولايات المتحدة الأمريكية ان تعود لسابق العهد بها وبعد ان تضاعف دخل السعودية من عائدات البترول عدة مرات ، فيهز البعض اكتافهم محاولين التهوين من شأن ما حدث ، ناسين انه يوم ان قرر امراء الخليج ابتداء مـن امير ابو ظبي الى امير البحرين وقطر فالكويت مستأنسين طبعا بقرار فيصل باعتبار ان لا جدوى من كل الذي يعملون لو لم يكن فيصل في المقدمة ، اقول يوم ان قرر فيصل وامراء الخليج قطـع النفط عن امريكا لم يكونوا يقدرون ماذا يمكن ان يترتب على هذا القرار . ان للولايات المتحدة الامريكية اسطولا في ميـاه الخليج ، بل ان لهـم قاعدة عسكرية في الظهران بالذات ، والشركات التي تقوم بالعمل كله شركات امريكية .. وقبل ذلك كله وفوق ذلك ، هنـاك ايران حليفة امريكا والتي تعتبر نفسها القوة التي يجب ان تهيمن علـى كل شئون الخليـج (١) .

---

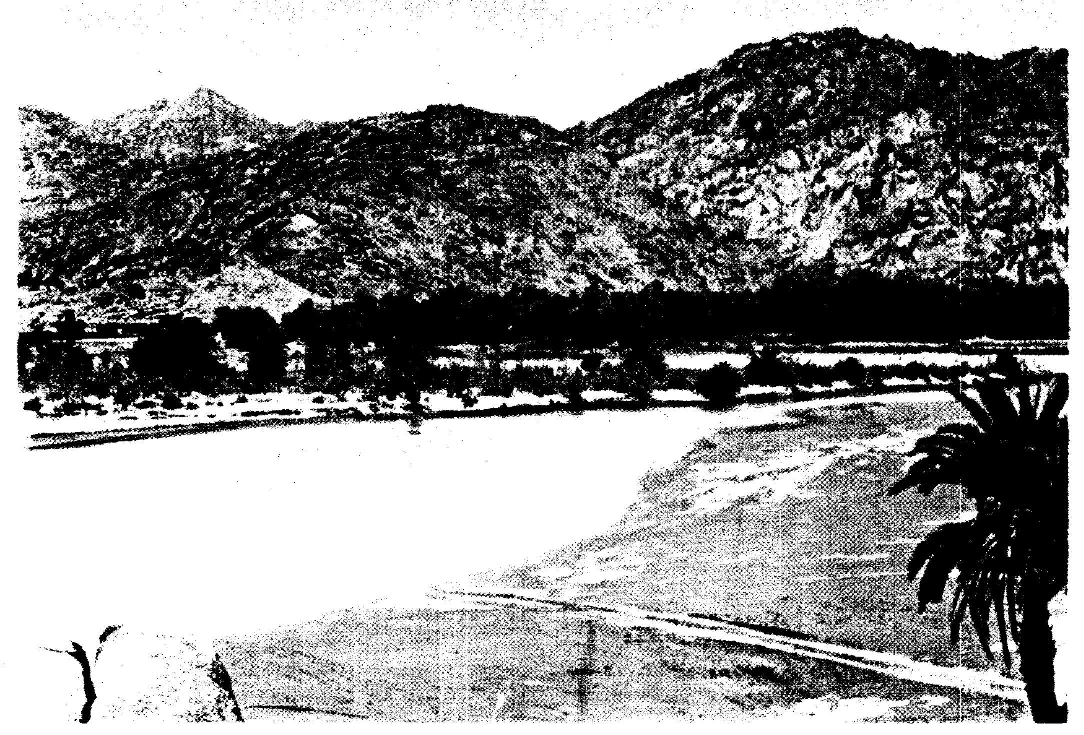
(١) عندما فكر الملك فيصل قطع البترول عن امريكا لم يكـن كما ذهب المؤلف الفاضل، بل كان الملك فيصل حاسبا كل النتائج والاحتمالات، وليس ما عمله مغامرة ، وانما هو عمـل دل علـى عبقرية فيصل السياسية التي اشتهر بها ، وما حسبه فيصل وقع ، وكان التغـير في سياسة الغرب ــ والولايات المتحدة بخاصة ــ واضحا ، فقـد اجبره الملك فيصل على احترام العرب والاعتراف بحقهم ، وعلى تغيير سياسة الغرب وعلاقات حلف الاطلسي مع الولايات المتحدة .

الناشر

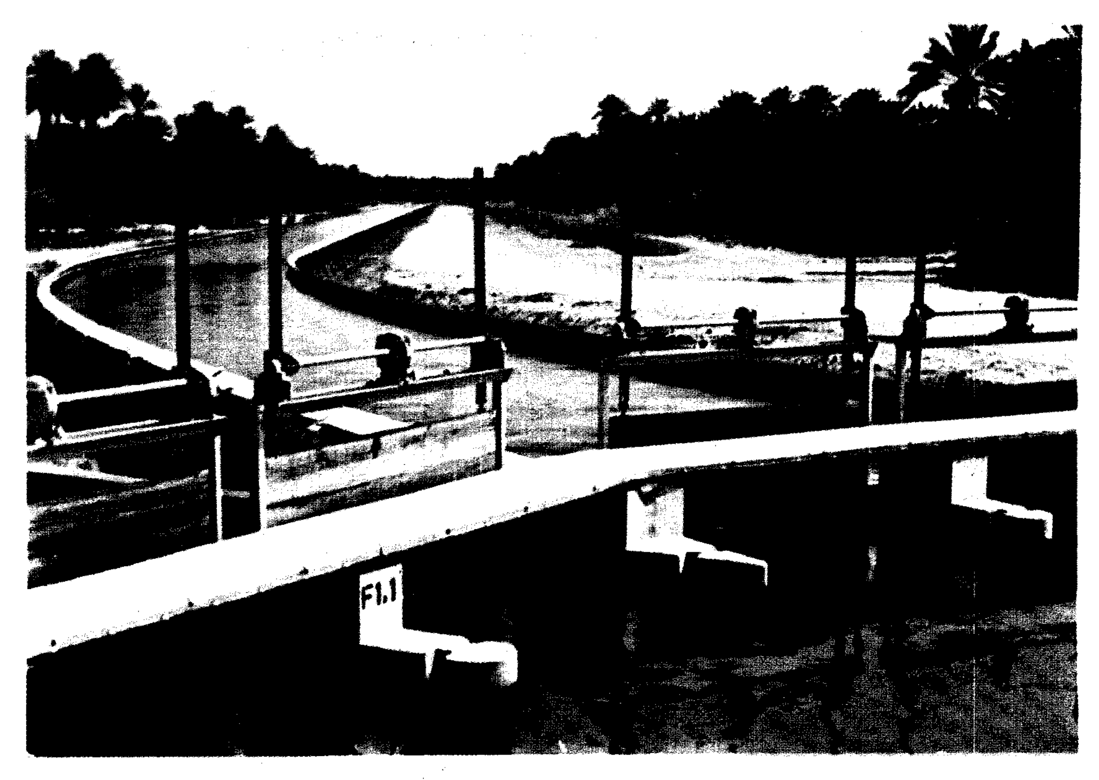
كل هذه عوامل كانت تجعل الموقف ينذر بأشد المخاطر التي يمكن ان تأتي على الاخضر واليابس وتحبط كل شيء بـل وتدمره تدميرا ، ولقد عشت كالملايين من معاصري على اعصابنا لا اقـول يوما بيـوم او ساعة بساعة ، وانما لحظة بلحظة ريثما انتهى الجزء الساخن من الصراع بسلام .فيجب ان يقاس موقف فيصل بلحظة اصدار القرار .والذي كان يغامر فيه بكل شيء ليس فقط ببلاده بل ونفسه شخصيا غير معتمد الا على الايمان بالله ،تماما كأنور السادات فهو عندما اصدر قراره الخالد للجيش بعبور قناة السويس لم يكن يعرف انه سيتم بهـذه السهولة ، وان النتائج ستكون بكل هذه الجودة ، لقـد كانت المخاطرة مخيفة ، ولكنه اقدم عليها ووافقه حافظ الاسد ، وليس لهما من سند الا الايمان بالله .

فعندما نتحدث عن دور فيصل العظيم فهو دوره في اصدار القرار الذي أعاد للامة العربية فاعليتها وقدرها بين الشعوب وليس ذلك سوى البداية وعندي انه كما تعتبر ثمرة اي شجرة هي المحصلة النهائية للشجرة كلهـا ، ولولا الثمرة التي تنتجها اي شجرة لفقدت مبرر وجودهـا ، وليس فقط الا الثمرة التي تعطي لاي شجرة أهميتها ، ولذلك كان يمكن ان تذهب شجرة عبد العزيز آل سعود بكل رونقهـا وعظمتها وتطوى صفحتها ، لولا ان كان فيصل ثمرة هـذه الشجرة المباركة ، فاذا بعبد العزيز يبعث من جديد بآثاره في هذه الدنيا علـى العرب والمسلمين ، واذا اعمال فيصل في البناء والتعمير تأخـذ ابعادا وعمقا جديديـن ، وتتجلى حكمة فيصل وسياسته الرشيدة التي انتهت الى هـذه النتيجة السعيدة .





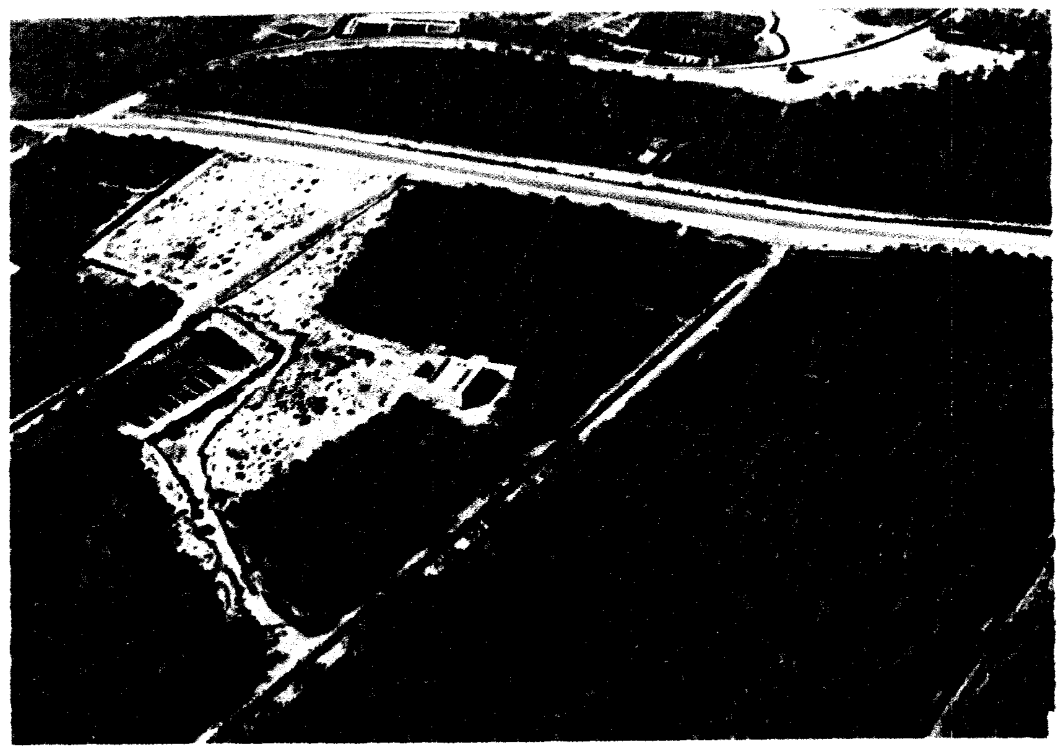
وادي نجران



مشروع الري بالاحساء



العلا ـ مزارع النخيل



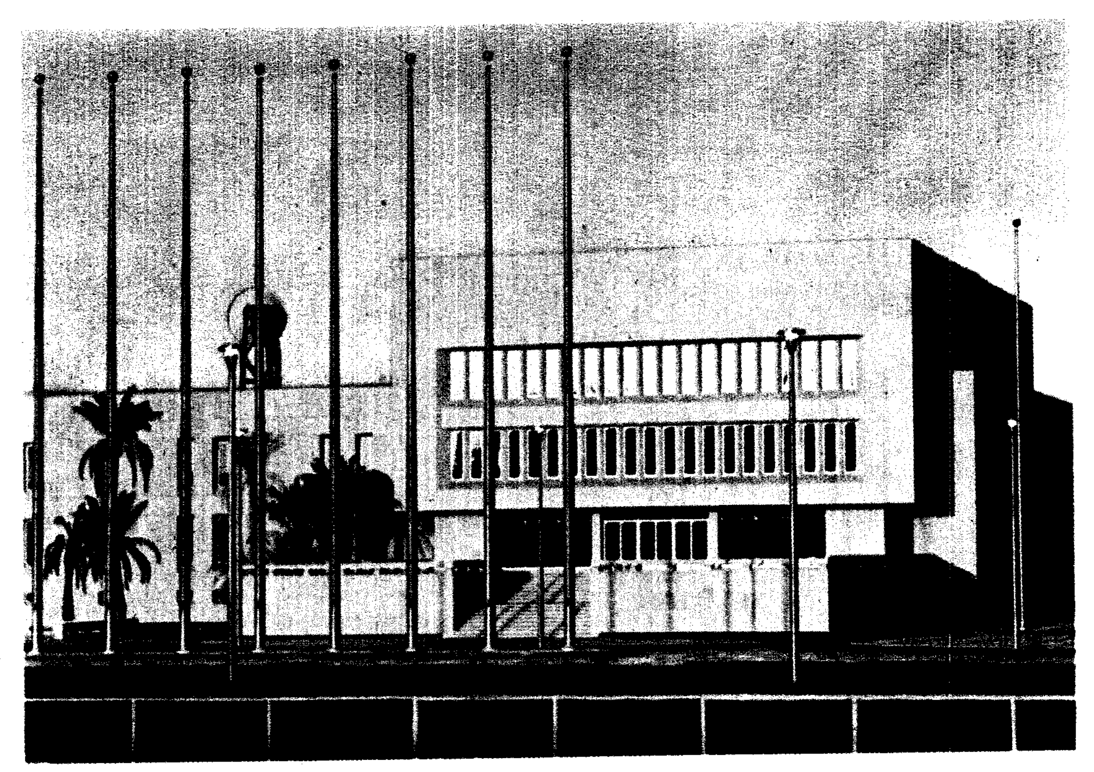
مشروع الري بالاحساء ـ حقول مزروعة



١ – مختبر كلية الصيدلة في جامعة الرياض



٢ – المشتل الملحق بكلية الزراعة في جامعة الرياض .



الرياض ـ مبنى الاذاعة



جده ـ منظر عام

- ٢ -

النهضة العمرانية

لست أريد ان اقف طويلا امام النهضة العمرانية ايام فيصل ، فقد رأينا فيما سبق ان فيصلا قد شارك منذ اليوم الاول مع ابيه في البناء والانشاء والتعمير،وهي عملية تابعها وكان مسئولا عنها ايام ابيه واخيه ثم تضاعفت وازدهرت في عهده وذلك وضع طبيعي جدا فرضته ظروف اكتشاف البترول وضرورة استغلاله ، فلا بد لكل ذلك من علم وتعليم ومنشآت صحية واجتماعية وزراعية وصناعية ، وفي كتاب «فيصل العظيم » للمرحوم امين سعيد تفصيل لهذه النهضة العمرانية حتى عام ١٩٦٥ ، وقد تفضل الاستاذ الشيخ قاسم عبدالله فأهدى اليّ مجلدا ضخما « معجزة فوق الرمال » يتحدث عن قصة الانجازات السعودية حتى سنة ١٩٧١ م ، وقد لا تتصور أن كل ذلك لا يقاس بما تم في عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٣ .

وقد اتيح لي شخصيا أن أزور السعودية وانا مريض يحملونني ومع ذلك فلم يفتني ان أشهد الشوط المذهل الذي قطعته البلاد والذي يكفي في تصويره ان اقول لك ان الاقامة في مدينة جدة ولو لبضع ساعات كانت تعتبر قطعة من العذاب.اما هذه المرة فقد كانت اقامتي الدائمة في ضيافة ابني الروحي الاستاذ حامد حسن ابو الخير في مدينة جدة ، ومنها نقصد مكة لاداء العمرة ، ونقصد المدينة للزيارة ، ولكنا لا نلبث ان نعود الى جدة لنواصل الاقامة حيث كنا في احدى العمارات التي بنيت على الطراز العصري بآخر معطيات العلم من مصاعد كهربائية، وأجهزة التكييف والتلفزيون ، وكل ما تتطلبه حياة الرفاهية اللازمة لمريض ، وكانت السيارة تنقلنا في اقل من ساعة الى مكة ، واقل من

خمس ساعات الى المدينة.وهي الرحلة التـي كنا نقطعهـا بالسيارة في يومين ، وقد اصبح ذلك ممكنا بفضل هذه الطرق الفاخرة التي لا اظن انه توجد طرق في العالم تفوقها • امـا المفاجأة التي كـانت تنتظرني في المدينة المنوره فهي ان تصبح كل مزارات المدينة ابتداء من مسجد قباء حتى قبور الشهداء وقبر سيدنا حمزة كلها اصبحت داخل نطاق المدينـة • وكان صديقي واخي المؤمن المجاهد الشيخ محمود فايد يرمز بوجوده في المدينة المنورة الى عظمـة الشوط الذي قطعته السعودية فـي كافة ضروب العلم فهو استاذ فـي جامعة المدينـة المنورة الاسلامية ، وهي ليست سوى جامعة من بين عدة جامعات في ارجاء المملكة •

واذا كان مرضي قد حال بيني وبين الرحلة الى الشرق.كما فعلت منذ ربع قرن.فقد اعطاني التلفزيون فكرة عما يجري في انحاء المملكـة، وعليك ان تتصور ما الذي يعنيه ان تشهد على التلفزيون ما يجري على ألوف الكيلومترات • ولعل ما يرمز الى النهضة الشاملة ان اشاهد على شاشة التلفزيون دورة رياضية لدويلات الخليج في شتى الالعاب وان تتم بكل الرونق والبهاء الذي يمكن ان تشهده لامثال هذه المهرجانات في اي دولة من دول اوربا وامريكا • لا لست اريد ان اقف طويلا امام هذه الظواهر التـي هي النتيجة الحتمية لاكتشاف البترول ، بل لعـل البلاد من هذه الناحية دون الغاية من حيث التصنيع واستغلال موارد البلاد وليس سوى هذا الموقف الاخير الرائع ما سوف يصحح الامور ويجعلها تسير فيما يجب ان تسير فيه وهذا يجرنا للحديث عن البترول وسلاح البترول وما سوف يحدثه من تغيير جذري ليس فقط في جزيرة العرب او البلاد العربية كلها بل في انحاء الدنيا •

ولكي اتحدث عن سلاح البترول الذي عندما احس فيصل بانه

اصبح كاملا في يده وانه احكم السيطرة عليه ،لم يتردد في استخدامه وهو عين ما كان يفعله ابوه اذ كان يضرب خصمه في الوقت المناسب ، لا دقيقة قبل او بعد الميعاد .

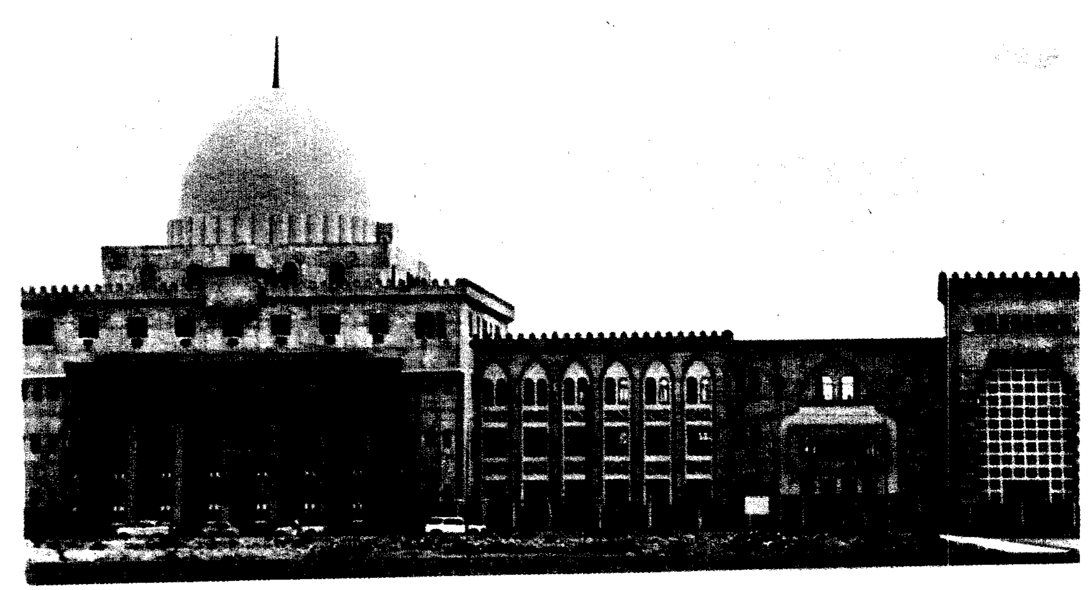
وللبترول في جزيرة العرب قصة اثبتها في كتابي « مشاهداتي في جزيرة العرب » والذي كتبته منذ ربع قرن وما اسعدني ان انقل هـذا الذي كتبته آنذاك فهو الارهاص لكل ما يجري اليوم .



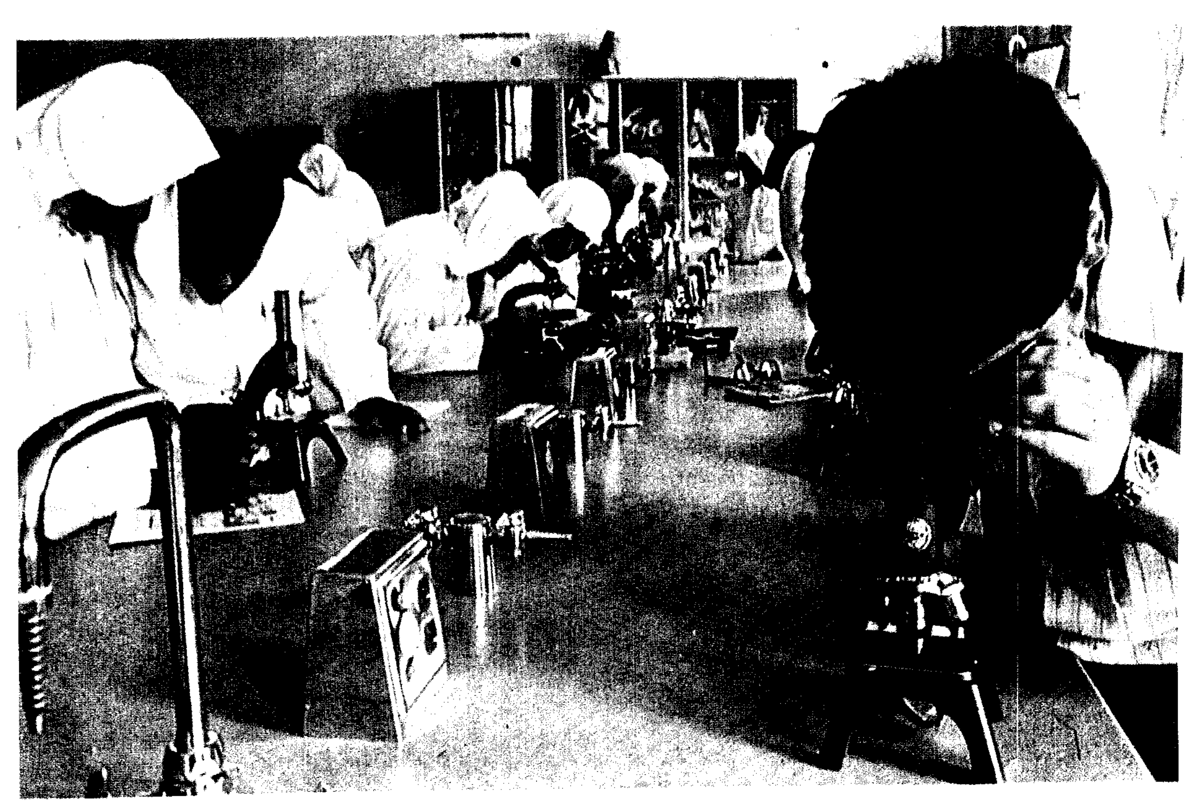
منظر جوي لمباني كلية البترول والمعادن في الظهران



جده ـ جامعة الملك عبد العزيز



المعهد المهني الملكي ـ الرياض



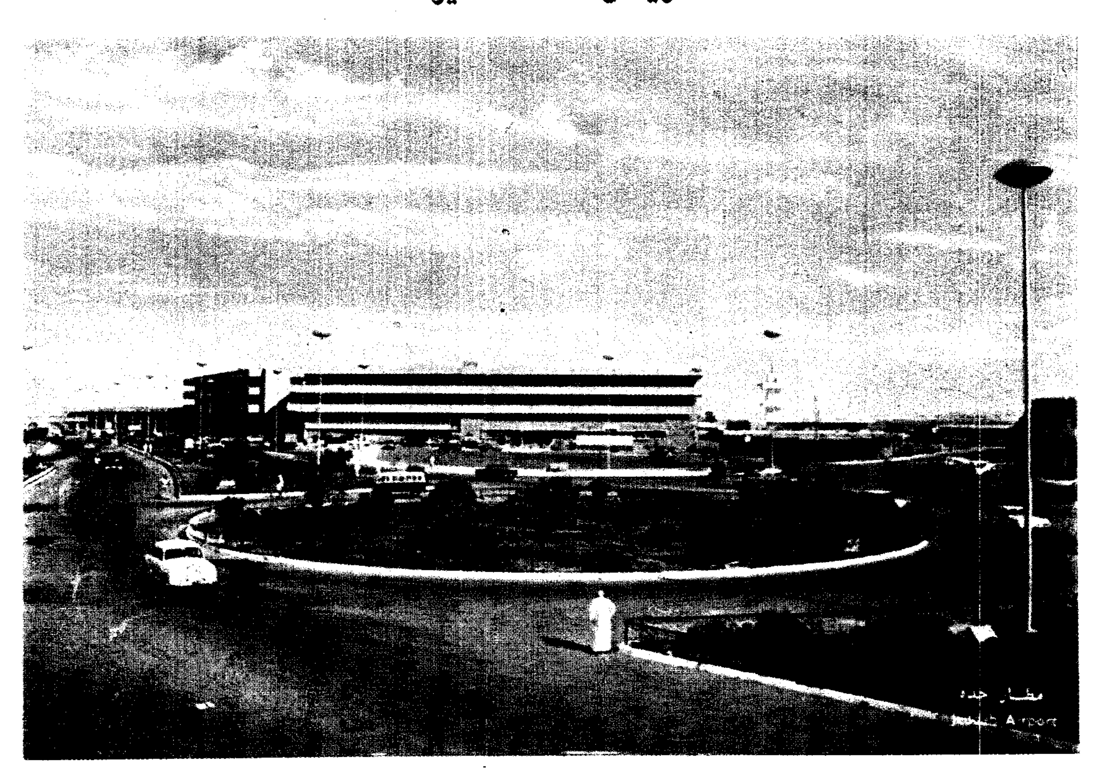
أحد معاهد اعداد المعلمين



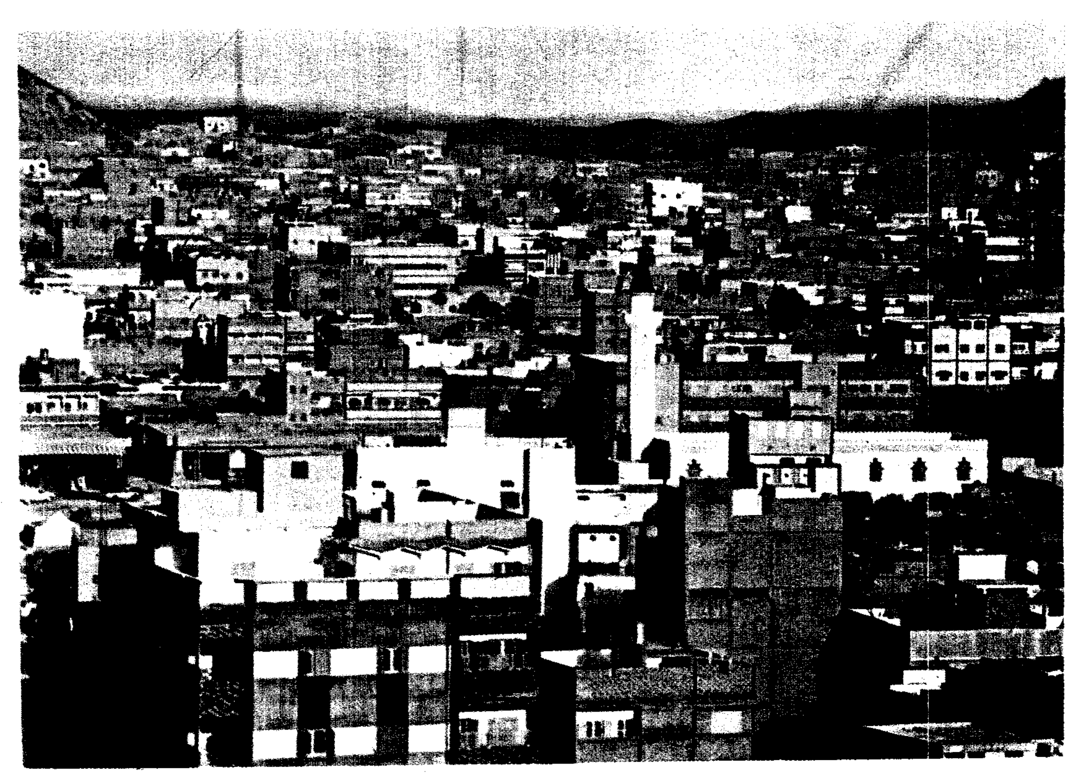
جامعة الرياض



الرياض ـ ساحة الديره



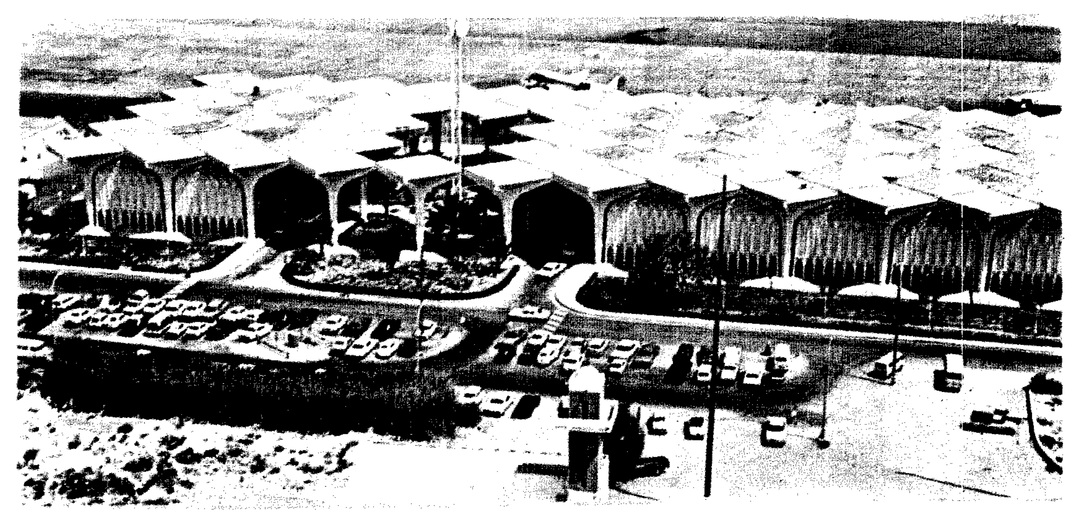
مطار جده



الطائف ـ منظر عام



الهفوف ـ منظر عام



الظهران ـ مبنى مطار الظهران

برج مياه الشرب في الرياض

الفصل الثالث

قصة البترول

« اذا كان هناك رجل له فضل في اكتشاف البترول في هذه المنطقة من العالم التي اصبحت أغنى مناطقه على الاطلاق فذلك الرجل هو الملك عبد العزيز آل سعود ، الذي كانت لديه الشجاعة التي جعلته يمنح امتياز التنقيب لشركة كاليفورنيا للبترول في سنة ١٩٣٣ » . بهذه العبارة استهل مدير شركة « أرامكو » حديثه معنا عن تاريخ المشروع ثم استطرد قائلا : اننا ندرك الصعوبات التي كانت تعترض منحنا مثل هذا الامتياز ، فقد مضت قرون واجيال لم يطأ هذه الاراضي شخص غير مسلم ، وقد اصبحت هذه قاعدة يعتبر مجرد المساس بها بمثابة الكفر والمروق من الايمان في نظر المتعصبين من بدو الصحراء . ومع ذلك فقد اقدم ابن السعود على تحطيم هذه القاعدة فسمح لنا بالاستقرار ، وأحاطنا بجو من الامن والطمأنينة لا نشعر بهما في عقر بلادنا .

ونحن نعرف انه يحق للعرب ان يسيئوا الظن بنوايا الدول الغربية التي استعمرت اجزاء كبيرة من العالم العربي والاسلامي ، فلم يكن هناك لوم او تثريب على الملك ابن السعود فيما لو اساء بنوايانا الظن

فأبى علينا هذا الامتياز ، ولكن عبقرية ابن السعود تغلبت على هذه المخاوف وأدرك اننا كشركة لا يهمنا الا ان نربح عن طريق استخدام البترول ، وأن نفيد المجتمع الذي هيأ لنا اسباب هذا الربح ، وان مصلحتنا المحققة هي دوام استقلال هذا المجتمع وحفظ كيانه لنتمكن من الاستمرار في اعمالنا . لقد ادرك ابن السعود بثاقب بصيرته هذه الحقائق فلم يتردد في منحنا الامتياز ، ونحن نقدر هذا العمل العظيم من جانبه ، وقد آلينا على أنفسنا ان لا نجعله او نجعل خلفاءه يندمون على هذه الخطوة ابدا ، ولذلك فنحن نخدمهم باخلاص ونعتبر انفسنا من رعاياهم وفي حمايتهم ، واننا سعداء اليوم اذ نقدم لابن السعود جزاء كرمه وتسامحه بالنسبة لنا ، فسوف يجعله هذا البترول اغنى ملك ، ويجعل هذا القسم من الجزيرة من اغنى بلاد العالمين في السنوات المقبلة.

تاريخ المشروع وتطوراته :

اما بقية القصة بالتفصيل فقد اطلعت عليها من هذه الكتب التي أعطانا اياها ، والتي لم اشأ ان انام هذه الليلة الا بعد ان افرغ من مطالعتها حتى اكون مستعدا لفهم ما سوف نقابله في اليوم التالي من منشآت ومؤسسات .

بدأت الشركة اعمال التنقيب في سنة ١٩٣٣ م وكان هذا النفر من الامريكان الاوائل الذين هبطوا الى هذا المكان مضطرين الى ان يطيلوا ذقونهم وان يرتدوا ملابس العربان ، وكان على ابن السعود ان يحميهم برجال شرطته لئلا يفتك بهم البدو . وكان البدء شاقا وقاسيا فليس في هذا الشاطىء الذي نزلوا اليه ، بل ليس في الجزيرة كلها شيء ينتفع به . وكان على هؤلاء القوم ان يستوردوا كل شيء من امريكا ، ليس فقط بالنسبة للآلات والمعدات والعمال ، بل والطعام والشراب وقطعة الصابون يغسلون بها انفسهم والورق والمسمار والدبوس وفتلة الخيط

وقطعة الدوبارة.وكان يتعين عليهم استجلاب ذلك من ابعاد شاسعة سحيقة تصل الى عشرة آلاف ميل واكثر ، وكان يجب ان يظل شريان الحياة متصلا بين هؤلاء العمال وبين امريكا ليستطيعوا ان يواصلوا مجرد الحياة . وكان على هؤلاء الامريكان الأوائل ان يقوموا بثلاث مهمات كل منها كان كالمستحيل ، وهي ان يجدوا البترول في هذه القفار وكان البحث عنه بمثابة البحث عن ابرة في قاع المحيط ، وان يجعلوا الحياة القاسية التي تحيط بهم محتملة ، وان يصبروا عليها وأن يكونوا أولا وقبل كل شيء جيرانا طيبين لهؤلاء البدو والعرب الذين كانت الدلائل كلها تدل على أنهم كمرجل يغلي من الحقد ضد هؤلاء الغرباء .

ولقد نهض هؤلاء الامريكان الاوائل بهذه المهمة بكل صبر وجلد . وبدأوا في حفر البئر الاولى في اسوأ الظروف ، فكبدهم ذلك من العناء ما كبدهم ، ولكنهم بعد ان انفقوا وتعبوا وكدوا اذا بالنتيجة تخيب رجاءهم والبئر المحفورة لا تنتج شيئا له قيمة ، وحفروا بئرا ثانية فكانت اشأم من الاولى . ولكن القوم كانوا قد وطدوا انفسهم على احتمال مثل هذه الخيبة فهم لم يقطعوا هذه الالوف من الاميال لكي يثني عزمهم الفشل . وبدأوا بئرا ثالثة .ومن جديد بدأوا يعلقون عليها الآمال ، وراحوا ينفقون عشرات الالوف ومئات الالوف من الدولارات، وتمضي الشهور تلو الشهور في هذا الحر القائظ الذي يشوي الوجوه، وليس للقوم الا الخيام يقيمون فيها فلما بدأوا في بناية ما يستظلون به بنوا اكواخا صغيرة ينظر اليها الانسان اليوم وقد احتفظوا بها كبعض الآثار فيعجب كيف رضي الامريكان أن يدعوا كاليفورنيا التي تفيض بالسمن والعسل وبأجمل المناظر وأجمل المتع واجمل النساء ، وكيف تركوا هذه الدنيا الصاخبة الزاهية ليعيشوا في هذه القفار في هذه الاكواخ الخالية من كل شيء .

واخيرا تم حفر البئر الثالثة•ومرة اخرى لـم يلق القـوم سوى الفشل ، لقد خرج من اعماق الارض ما يدل على ان هنـاك بترولا ، ولكن هذا البترول بكميات تافهة لا تستحق العناء الذي بذل من اجلها، ولا تساوي مجرد اخراجها مـن باطن الارض فضلا عـن شحنها الى انحاء العالمين •

وبدأ ايمان اصحاب الشركة يدب اليه بعض الوهن ، ولكن كان هناك معين من الصبر والجلد وكان قد مضى علـى القوم بضعة اعوام ازدادوا فيها استقرارا وتأقلموا بالجو الى حد كبـير ، واستطاعوا أن يحلوا كثيرا من مشكلات الاقامة والطعام والشراب ، واذن فليمضوا في العمل ، فكان حفر البئر الرابعة في منطقة غير المناطق السابقـة ، وبعد شهور من العمل المضني الذي لا يتصوره الانسان الا اذا رآه رأي العين نجح القوم في تأكيد الحقيقة التي بدأت تتضح لهم • وهي انهم اخطأوا الحساب والتقدير ، وان هذا المكان من الجزيرة خلو من البترول الذي يمكن استغلاله بطريقة اقتصادية ناجحة • هل تعلـن الشركة افلاسها وتدع العمل بعد ان انفقت ما انفقت واسست ما اسست ؟ اجتمـع المساهمون في امريكا وتباحثوا فـي الامر ، وهالتهم الخسائر التـي كابدوها حتى الآن ، لقد بلغت الخسائر حتى نهاية سنة ١٩٣٧ م ثلاثة ملايين دولار دون ان تنتج ما يغل مليما واحدا ، وعز عليهم ان يضيع كل ذلك هباء ، فاستجمعوا عزمهم وقرروا مواصلة العمل ، فجمعوا اموالا جديدة ، وارسلـوا خبراء جددا ، ومنحوا العمـال مزايا ومشجعات ومرغبات جديدة ليواصلوا العمل • وفي هذا الجو مـن العزم المجدد والتفاؤل بدأ حفر البئر الخامسة ، بعد ان حشدوا لها كل ما لديهم من علم وتجارب وفن ، ولكنهم انتهوا الى نفس النتيجة السابقة ، قليل من البترول لا يساوي جزءا من مائة جزء مما انفق على استخراجه • ورأوا



منظر ليلي لمصنع الاسمده الكيماوية (سافكو)

ان يقوموا بمحاولة اخيرة ليدعموا بعدها العمل غير آسفين ولا نادمين لانقاذ ما يمكن انقاذه من كيان الشركة الاصلية في كاليفورنيا •

وفي هذه المرة حفروا بئرين في آن واحد : السادسة والسابعة ، ووقف المديرون والمساهمون يتنسمون الاخبار الاخيرة من ساعة الى ساعة ، الى ان تم حفر البئر السادسة فاذا بالضربة تحل بهم فلم تخرج لهم البئر الا الفشل والخيبة ، وقضي على كل امل وانهارت هذه القصور من الاماني والاحلام التي علقها الامريكان على العثور على البترول في هذا المكان ، وبدأ كبار الموظفين يصدرون القرارات لتصفية الموقف ، لقرب عودتهم الى امريكا وتخلصهم من هذا المكان اللعين ، واهتزت اسلاك البرق بين الظهران وكليفورنيا تقول ان كل شيء قد انتهى وانهم في انتظار الامر الاخير بالرحيل ، ولكن ••

ولكن :

ولكن هذا الامر بالرحيل لم يصدر وبدلا منه صدرت أوامر عكسية.واهتزت اسلاك البرق من كاليفورنيا الى الظهران بأمثال هذه البرقيات : المدير العام في طريقه اليكم ، الاعتمادات المطلوبة قد فتحت، النقود الذهبية شحنت على الباخرة وسوف تصلكم ، اصدرنا الاوامر والتعليمات بشحن عشرة آلاف طن من المواسير • ستصلكم الآلات والمعدات في أقرب وقت ، سنرسل اليكم بعض الاطباء والممرضات الجميع هنا يرقصون من الفرح •

البئر السابعة :

لقد ضرب الحظ ضربته في الساعة الاخيرة ، فهذه البئر السابعة التي لم يكن قد تم حفرها جاءت بالمعجزة التي كان الامريكان يؤملون فيها ، لقد تفجرت الارض واخرجت اثقالها • وانطلق زيت البترول من

اعماق الارض كأقوى ما رأى الامريكان وكأعجب ما رأى الامريكان •
وكان ذلك في شهر مارس سنة ١٩٣٨ م اي بعد خمس سنوات كاملة من العمل في ظل الفشل والخيبة المتكررة • ولم تكن هذه البئر السابعة بئرا كآبار الزيت المعهودة بل كانت طوفانا ، وكانت بمثابة بحر عجاج متلاطم من البترول •

وبدأت صفحة جديدة ، لا في تاريخ شركة كاليفورنيا ، او في التنقيب عن البترول في جزيرة العرب ، بل صفحة جديدة في تاريخ العرب كلهم • وصفحة في تاريخ الشرق الاوسط بأكمله ، فقد اصبح هو العمود الفقري لمجهودات انتاج انجلترا وامريكا العالميتين واصبح هو القلب الذي اذا أصيب بضربة واحدة خر الجسد على أثره مصعوقا ميتا•

هذه البئر رقم ٧ انها موجودة اليوم تحمل هذا الرقم ، ويحج اليها رجال الشركة وعمالها ينظرون اليها كنقطة التحول في حظوظهم وحظوظ جزيرة العرب •

ولكي تقدر خطورة هذه البئر ، لا عليك الا أن تقرأ الارقام الآتية:
فمنذ عام ١٩٣٣ م حتى آخر عام ١٩٣٨ م وهو العام الذي اكتشفت فيه البئر السابعة التي كان قد بدأ استغلالها قرب آخر العام ، بلغ مقدار ما استخرج من البترول في خمس سنوات ٥٧٥ر٠٠٠ برميل • اما في سنة ١٩٣٩ م أي بعد أن بدأت البئر السابعة انتاجها بالكامل فقد بلغ المستخرج ٣ر٩٣٤ر٠٠٠ برميل أي ما يزيد على سبعة اضعاف الكمية المستخرجة في خمس سنوات من ست آبار مجتمعة •

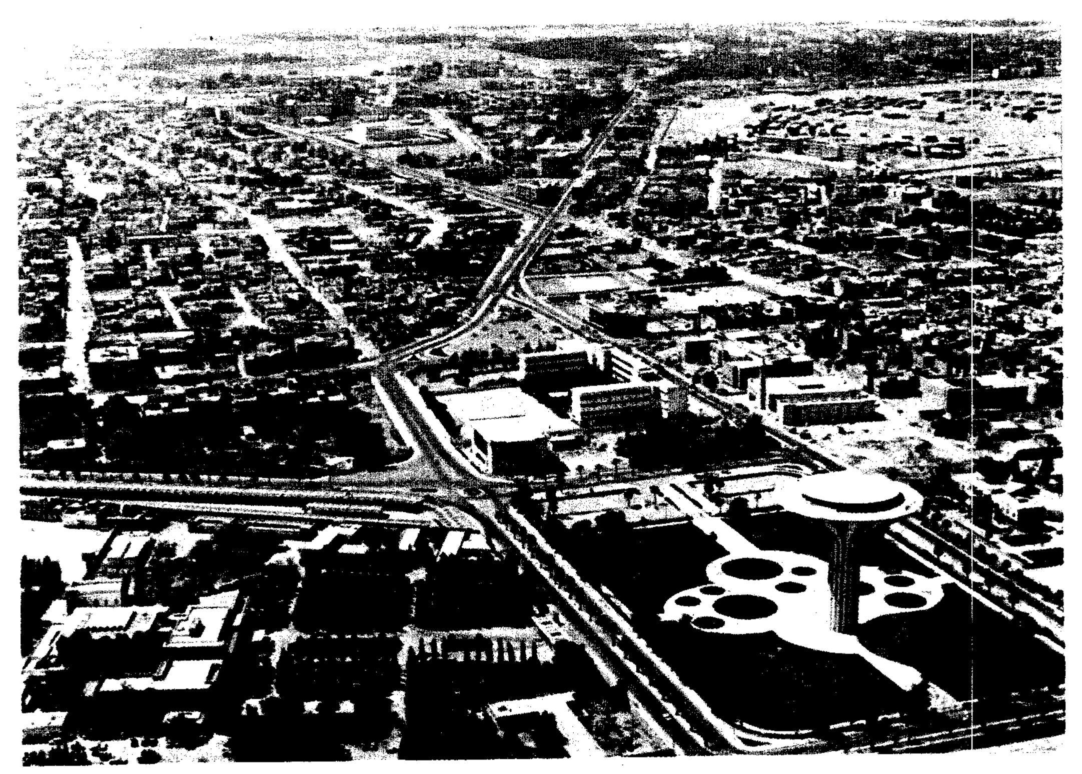
وبدأت قصة ألف ليلة وليلة منذ ذلك التاريخ وقصة خاتم سليمان وكنز علاء الدين وعفاريت الجن التي تنسف الجبال وتجفف البحار وتحول كل شيء الى ذهب •

بدأ استخراج الزيت يتضاعف فأصبح في سنة ١٩٤٠ م ٥٠٧٥٠٠٠ برميلا ولكن الحرب في ذلك الوقت كانت قد اشتعلت ، وبدأت الحكومة الامريكية تمنع تصدير الآلات اللازمة لكي تواصل الشركة اعمالها فضلا عن ان تتوسع فيها ، ولكن في سنة ١٩٤٣ قررت الحكومة الامريكية ان هذا البترول لازم لمجهود امريكا الحربي في اوربا وفي الشرق ، فأعلنت الشركة القيام بعملها على أوسع نطاق ، فاذا الناتج يقفز في سنة ١٩٤٥ م الى ٢١٣١١٠٠٠ برميلا ، ويهولك هذا الرقم الذي كان منذ عام واحد لا يزيد على سبعة ملايين ، فاذا به يتضاعف ثلاث مرات في خلال عام ، وهو شيء لا مثيل له في تاريخ البترول في اي مكان في العالم ، ولكن الدهشة لا تكاد تتملكك حتى ترى نفسك مهددا بان تصاب بالذهول عندما تعرف ان هذا الرقم قد ارتفع في العام التالي اي ١٩٤٦ م الى ٥٩٩٤٤٠٠٠ اي ستين مليون برميل في السنة وفي عام ١٩٤٧ ، الى ٨٩٨٥٢٠٠٠ اي تسعين مليونا، وقد قال لي المدير انهم يتوقعون انتاج مائة مليون برميل في عام١٩٤٨م ولقد طالعت بعد ذلك في تقرير الشركة عن اعمالها في هذه السنة ان الانتاج قد تجاوز هذا القدر بمرحلة شاسعة . ولا جدال ان هذا وضع شاذ لا يسير عليه العمل في اي مكان آخر في العالم ، فالمعروف ان البترول له كميات محددة سرعان ما تنفد،وكثير من الآبار التي تنتج البترول سرعان ما تجف ، ولذلك فان كل دول العالم قد وضعت سياسات خاصة بكمية البترول المستخرجة ، وهي تحظر استنزاف موارد البترول بهذا الاسلوب ، ولكن شركة ارامكو لا يهمها بطبيعة الحال الا مجرد الربح ، فهي تعمل على استجلابه والاستكثار منه ، فماذا عليها اذا سحبت كل البترول الموجود في باطن الارض وجففت الآبار ، بل هي تريد أن يكون احد اهداف امريكا بالذات هو الاقتصاد في استعمال ما في باطن ارضها من البترول ، على ان تستخدم بترول الشرق الاوسط.

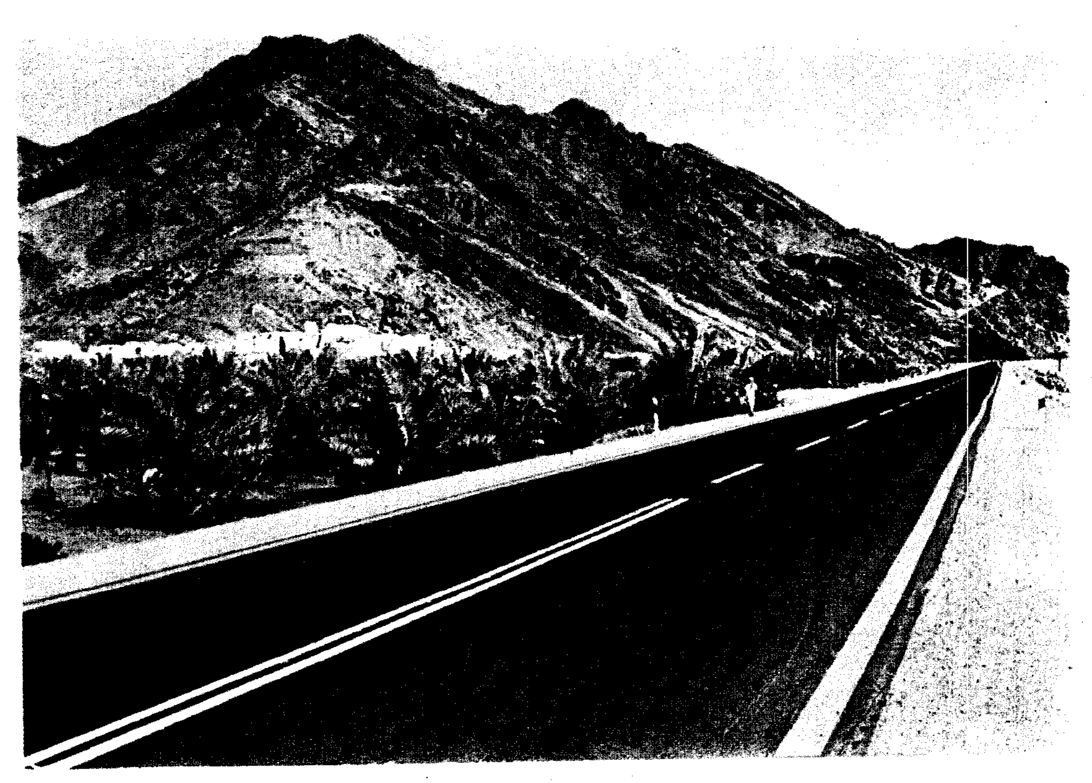
وهو ما فعلته في خــلال الحرب بالفعــل اذ اعتمدت اعتمادا كليا علــى بترول الدولة العربية السعودية كما يتجلى من هذه الكميات الضخمة • ولذلك فاننا نتجه في هذه الرسالة الى جلالــة الملك ابن السعود وولي عهده مطالبين اياهما بوجوب التدخل لتحديد الكميات التــي لا يجوز للشركة ان تتجاوزها في انتاجها ، وان تقدر هذه الكميات بنسبة معينة الى المخزون تحت الارض ، كأن لا تتجاوز هــذه النسبة نصفا في المائة او واحدا في المائة على الاكثر ، وبذلك تضمن المملكة السعودية موارد البترول الى مائة سنة مقبلة ، امــا اذا سارت الامــور بالاسلوب الذي تسير عليه الآن فان اخشى ما اخشاه ان ينزع الامريكيون البترول ثــم يدعون الجزيرة بعد ذلك قاعا صفصفا •

انتشار العمران :

وفي اعقاب البترول وفدت مظاهر العمران على أوجها ، فالظهران التي كانت تتألف من بعض العشش والاكواخ اصبحت الان كما وصفتها لك بلدة امريكية حافلة بمظاهر الحياة ، وقد خرجنا بعد الظهر نطوف في ارجائها فسرنا في هذه الشوارع المعبدة النظيفة ، وسط هــذه البيوت الجميلة. ولفت انظارنا هذه الكثرة الساحقة مــن السيارات التي تقوم بوظيفة التاكسي ، وقــد طليت باللونين الاصفر والاحمر علــى غرار التاكسيات في نيويورك ، وزرنا الورش الضخمة التي ليس لهــا مثيل حتى الآن في مصر من حيث حداثة الآلات وضخامتها ، ولم يكن هنــاك ما يبهجنا اكثر من ان نرى العمال العرب يعملــون وسط هذه الآلات كأمهر ما يكون العمال • لقد كانوا بالامس بدوا رحلا يلتمسون رزقهم من التمر وقطرات الماء في جوف الصحراء ، اما اليوم فهم يعملون على هذه الآلات ــ ويتقاضون في اليوم ما يساوي خمسين قرشا او سبعين او ثمانين او مائة في بعض الاحيان مضافا اليها سكن بالمجــان وحرارة



الرياض ـ منظر جوي



طريق المدينة ـ بالقرب من بدر



طريق مكة ـ الطائف الجديد



طريق الطائف بشه ـ جسر شمروخ

بالمجـان ليطهو عليها طعامه كذلك ، وتقـدم له الاقوات كل اسبوعين بثمن مخفض يتناسب مـع موارده •

لقد بلغ عدد هؤلاء العمال عشرين انفا ، لا شك انهم يؤلفون مرحلة جديدة في تاريخ الجزيرة ، فلأول مرة في كـل حياتها يقبل العربي على حذق صناعة ومزاولة عمل يدوي • ومهما قيل في شأن هذه الخطوة او هذا الانقلاب في حياة الجزيرة وما قد يجره عليها من اخطار الحرب ، فلم يكـن بوسعي الا أن أباركه عندما بدأت أدخل الى المدارس التـي انشئت لتعليـم هؤلاء العـرب القراءة والكتابة ، ولتعليمهـم قواعد الميكانيكا ولتدريبهم على مختلف الصناعات ، وعندما دخلت الى هـذا المستشفى الذي لم ُيفتح بعد ولكنه أتم الاستعـداد لهـذا الافتتـاح ، ادركت ان هـذه دنيا جديدة كان لا بـد للعرب مـن ان يدخلوها ، فالمستشفى على أحدث طراز تبنى عليه المستشفيات في أمريكا ، ويحتوي من الاستعداد ما اخشى ان اقول ان اكبر مستشفيات مصر لا تحويـه لان كل ما في هذا المستشفى قد استجلب من أمريكا في هـذا العـام ، اي وفـق آخر طراز وآخر ما ابتكر العلـم وتطورت اليـه أجهزة ومعدات المستشفيات ، وكل ذلك سيكون وقفا علـى عـلاج العمال امريكان وعرب على السواء فبهرني ذلك كله ، ولم استطع اخفاء اعجابي وتقديري لهذه النهضة على الرغم من الخوف الذي ما زال يخالط نفسي بعد ان تكشفت نوايا الامريكان الاستعمارية •

وكنا في تجوالنا نمر بآبار البترول التي تنتج البترول بالفعل فكان منظرها عجبا لانها لا تزيد عن مجرد انبوبة صغيرة تخرج من بطن الارض، وقد احيطت بسياج ليدل على أنها بئر ، وتتصل هـذه الانبوبة بأنابيب البترول الممتد على سطح الارض ، والتي يندفع البترول فيداخلها حتى يصل الى أماكن التجميع او التكرير ، وسرعان ما تكتشف هذه الآبار «في

كل مكان ، وانك تمر عليها دون أن تلحظ شيئا غير عـادي حتى يلفت نظرك الى منظر البئر • ولما حدثت مرافقي الامريكاني عـن بساطة هذا المنظر أجابني ان الحال في امريكا وفي بعض البـلاد أغرب من ذلك ، ففي الحدائق العامة وفي بيوت بعض الناس ترى هذه الانابيب التي تدلك على وجود بئر للبترول •

ورأينا في تجوالنا هذه النيران المشتعلة التي رأيناها من الطائـرة بمجرد اقترابنا من المكان ـ فسألت عـن موضوعها فقيـل لي ان زيت البترول يخرج من الارض وهو مختلط بغازات سامة لو تركت مختلطة به لسبب الاذى لكل من اقترب منه ، وهو يتلف الاوعية التي يوضع بها ، ولذلك فهم يعملون على تخليصه مـن هذه الغازات الاوليـة في هذه الاجهزة الضخمة التي قصدناها لنقف على خبرها ـ ويطلقون عليها اسم المصيدة اشارة الى انها تصيد الغازات العالقة بالبترول ، حتى اذا عزلت الغازات عن الزيت لم يبق ما يعمل بهذه الغازات الا ان تحرق ، وهـذا هو سر النيران المستعرة بدون انقطاع • ولم يكد الرجل يشرح لي هذه الحقيقة حتى اندفعت اسأله : وهل يمكن الانتفاع بهذه الغازات على اي صورة من الصور ؟ فأجاب : اننا ننتفع بها في توليد الحرارة التي تلزمنا للقيام بعملياتنا ، وننتفع بها في الطهي والتدفئة داخل البيوت على الصورة التي تراها ، ولكن لا فائدة منها بعد ذلك • قلت : وهذه النار المشتعلة ابدا بهذه القوة ، هذا الجحيم المستعر ، هذه الطاقة ، اتذهب هكذا هباء تتبدد في الهواء ؟ فأجابني : نحن نتساءل مثلك هذا السؤال ، ولم نستطع حتى الآن ان نجيب عليه ، ذلك لأننا قوم مهمتنـا هي انتاج البترول ولا زيادة ، وربما اذا جيء بعلماء آخرين يجـدون سبيلا لاستخدام هـذه النيران ، اما نحن فلم نستطع ان ننتفع بها اي انتفاع •

وصمتنا جميعا وظللنا نحدق فـي النيران والقشعريرة تسري فـي

جسدنا لمرآها ، فقد كانت نيرانا فظيعة مخيفة تتصاعد الى عنان السماء .
واخيرا سألت سؤالا اخيرا : اليس هناك اي خطر من هذه النيران الى جوار آبار البترول ؟ لقد كان محظورا علينا في كثير من الامكنة ان نشعل مجرد عود ثقاب تفاديا للخطر فكيف بهذه النيران الجبارة ؟
فأجابني أن ليس ثمة خطر فالغاز يندفع من الانابيب بقوة في هذا الاتجاه والنار لا يمكن ان تمتد الى داخل الانابيب لعدم وجود الاوكسجين اللازم للاحتراق بها فلم يبق الا ان يحترق الغاز بعد ان يغادر الانابيب في هذا الطرف البعيد الذي ابعد عن البلدة وعن مواقع آبار البترول .

استيقظنا في الصباح المبكر يوم الاثنين ، استأنفنا جولتنا ، وفي هذه المرة لم يكن في انتظارنا سيارة بل كانت هناك طائرة .

قلت للقوم : اما من سبيل لزيارة البحرين وهي الجزيرة المتاخمة لشاطىء الجزيرة ، والتي يوجد فيها البترول بكميات ضخمة ؟ فأجابوني بأنه لا بد للهبوط في الجزيرة من اجراءات معينة نظرا لانها تحت الحماية الانجليزية ، ولكن الطيار كلف بان يطير فوق الجزيرة على ارتفاع قريب لكي نستطيع ان نرى كل معالمها .

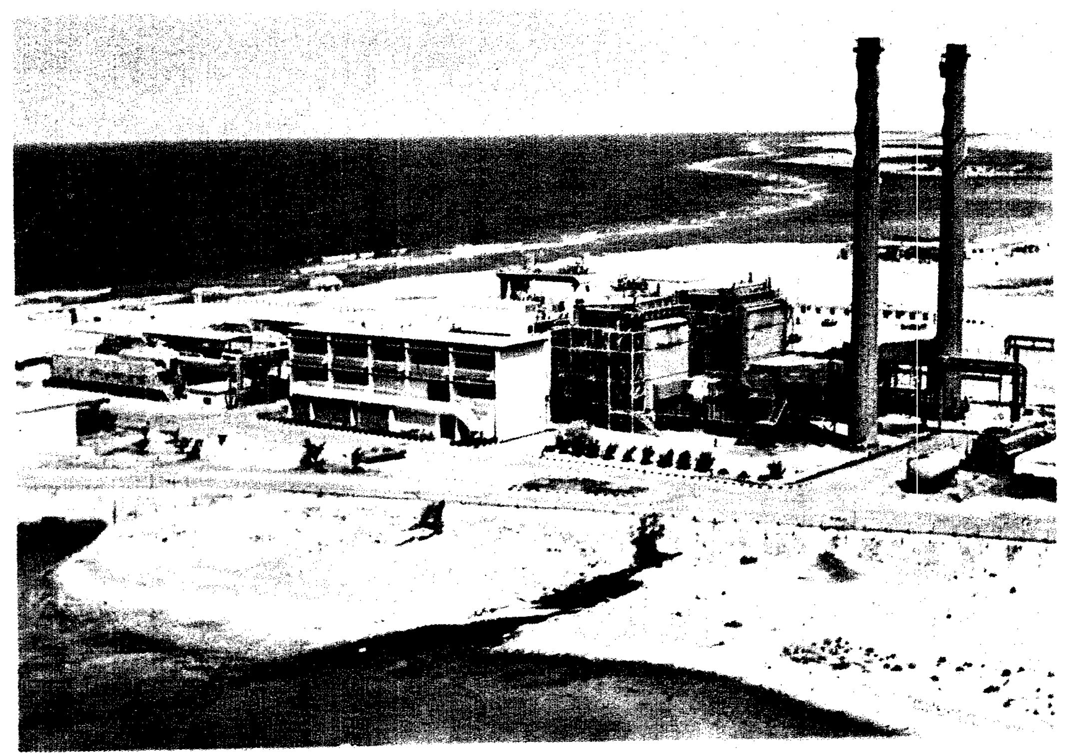
وارتفعت بنا الطائرة وهي من طراز (بيتش كرافت) وبدأت تحوم فوق الظهران ، ثم اتجهت صوب جزيرة البحرين . ولست أشك لحظة بعد أن رأيت ما رأيت أن البترول الذي يوجد على شواطىء الخليج العربي انما يوجد ايضا في قاعه .

وعندما تتطور أساليب التنقيب فتشمل البحث عن البترول تحت البحار الضحلة سيجدون تحت الخليج العربي بحرا آخر من البترول اسفل هذا البحر من الماء . ان الانسان يرى قاع البحر وهو في الطائرة حتى لقد عجبت كيف تدخل السفن الكبيرة الى هذه الاجزاء من البحر،

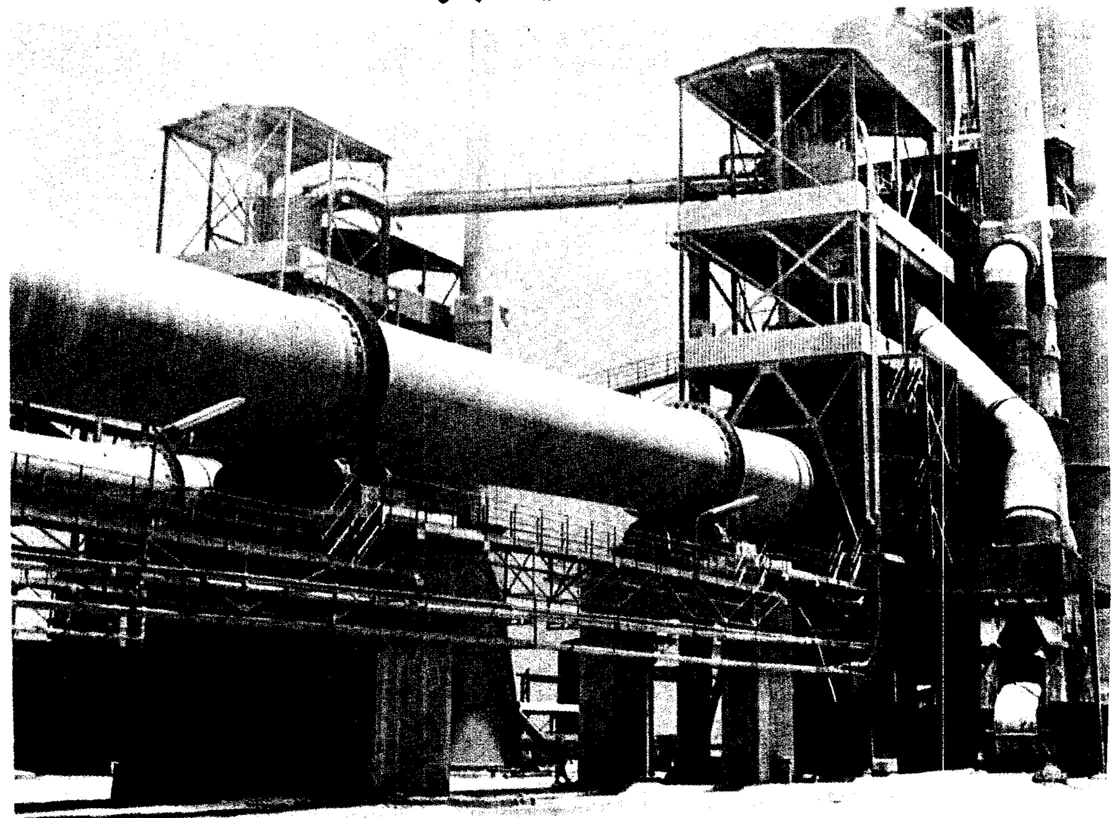
ولكني رأيت بعد ذلك انها لا تدخل بالفعـل ، وانهـم مضطرون ان ينشئوا ارصفة يبلغ طولها ستة كيلومترات وعشرة كيلومترات داخل المياه كما يفعلون الآن في «الخبر» حتى تستطيع السفن ان تجد مكانا صالحا للارساء فيه • حتى اذا وصلنا الى الطرف الشرقي مـن جزيرة البحرين تجلى لنا ان البحر قد ازداد عمقا في هـذه الناحية ، وتجلت لنا جزيرة البحرين مبسوطة كأنها ورقةعنب او ورقـة تين.وكما تتشعب الشرايين الخضراء على صفحة ورقـة التين او العنب لتنشر الغذاء علـى سطح الورقة ، فكذلك كانت الطرقات تغطي صفحة الجزيرة كأنها شبكة مـن الشباك ، وقد كان هذا اول ما يلفت النظر • ان استخراج البترول من جزيرة البحرين قد بدأ في عهد مبكر جدا قبـل استخراجه من الجزيرة العربية.وتتولاه شركة انجليزية استقرت منـذ امد بعيـد فعبدت هذه الطرقات التي ليس لها مثيل حتى في الظهران •

وحومت الطائرة فوق مؤسسات البترول ومنشآته الجبارة التي تجلت لنا وهي تتألق تحت وهج الشمس • ها هي ذي غابـات الانابيب وخزانات البترول تتجلى بكل ضخامتها وروعتها ، ومؤسسات البترول توحي لك دائما منظر الغابة حيث الاشجار المتكاثفة والاغصـان المتعانقة المتشابكة ، فصناعة البترول كلها تقوم على عملية التقطير وتحليل هـذا الزيت الخارج من بطن الارض الى مشتقاته عن طريـق تسخينها داخل أنابيب ضخمة ، حتى اذا تحول الزيت الى غاز هوائي راح كل نوع منه ذي كثافة معينة ينفذ الى أنابيب خاصة حيث يعـاد تكثيفه فينقلب اما الى بنزين او الى كيروسين او سولار او غير ذلك مـن الانواع الاكثر كثافـة •

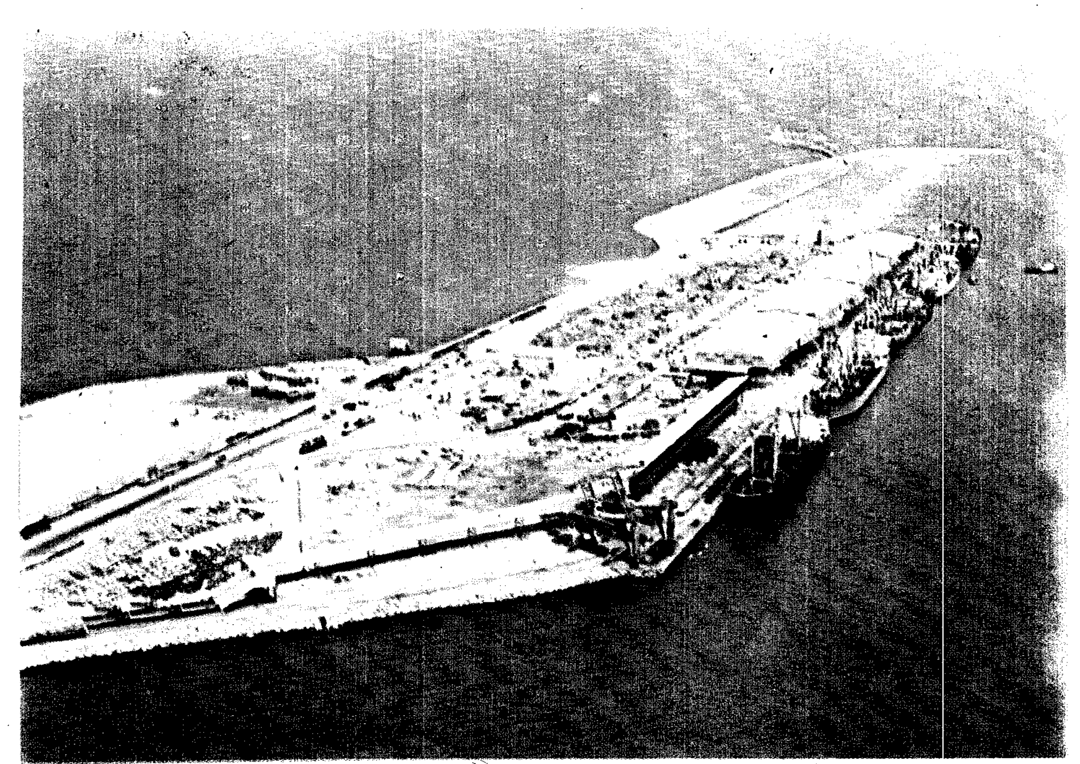
فالعملية كلهـا تتطلب تسخين الزيت داخـل أنابيب وتحليله الـى مشتقاته ودفعها الى داخل أنابيب وتكثيفها ثم نقلها داخل أنابيب •



محطة تحلية مياه البحر



مصنع الاسمنت في الرياض



الدمام ـ الميناء الجديد



السكة الحديد في الدمام

فمصانع البترول ليست في حقيقتها الا غابة مـن الانابيب • لقد شاهدنا غابة البترول ومدينة البترول حولها ثم لم نر على صفحة الجزيرة شيئا يدل على قيام عمران اللهم الا بيت الامير او قـل قصره او حصنه فهو الشيء الوحيد الذي يمكن ان يرى من الطائرة الى جوار مؤسسات البترول ، وغير ذلك لم يكن ثمة شيء فاكتفينا بما رأينـاه وطلبنا مـن صاحبنا الطيار ان يعـود بنا الى الشاطىء لنبدأ البرنامج الموضـوع • وكان اول عناصر البرنامج رؤية بئر في مرحلة الحفر وكان يتعين علينا ان نتعمق في داخل الجزيرة كي نصل الى هذه البئر •

وانثنت الطائرة وكرت راجعة وهـا نحن مـن جديـد نصل الـى الشاطىء ونصبح فوق الظهران والنيران المستعرة تتقد فيها ، ونحن الان في طريقنا لنحلق فوق اعظم حقول البترول في العالم غزارة وهو حقل ابو قيق • لقد حدثتك عن البئر رقم (٧) التي اذهلت الامريكان بغزارة بترولها ، والتي كانت هي نقطة التحول في اعمـال الشركة وقـد ذكرت لك ان الحقل الذي تقوم عليه البئر السابعة قدرت مساحته بتسعة آلاف كيلومتر مربع وهو رقم ضخم ونادر ، وبقي ان تعرف ان حقل ابو قيق تبلغ مساحته سبعين الف ميل مربع ، وليس لذلك مثيل في العالم من حيث السعة والضخامة • وهكذا كلما ظن القوم انهم وصلوا الى شيء عجيب عثروا على ما هو أعجب.ولذلك فان الامريكان هنـاك تراهم في حالـة اقرب الى الحمى منهـا الى الحالة الطبيعية ، يحدثونك بكـل عواطفهم والفرح والابتهاج والفخر والاعتزاز يلوح في كل كلمـة وفي كل مقطع وفي كل حرف ينطقون به،انهم أشبه بالرجل يدخل الى كهف سحري فينبهر مما يرى فيه من نقود فضية ثـم لا يلبث ان يرى اكداسا من الذهب فيزداد انبهارا ، ولكنه لا يكاد يفيق من هذه الصدمة الجديدة حتى يرى قناطير مقنطرة من الماس واللؤلؤ ، وهكذا يظـل ينتقل فاغرا

فاه كالمشدوه ، بل هو الى المصعوق اقرب • ذلك هو وصف الامريكان الذيـن يعملـون الآن فـي منطقة الظهران ، لقـد كانت الشركة تعتز بحقولها في الظهران ، ثم فوجئت بحقول الدمام فاذا بالانتاج يقفز كما رأينا قفزة جبارة ، ثم جاء حقل ابو قيق يظهر لهم في كل يوم انه اوسع وأضخم مما كانوا يتصورون ، وكلما ظنوا انهم وصلوا الى نهاية الحقل وجدوه لا يزال ممتدا ، وحتى هـذه اللحظة لـم يحددوا هذا الحقل بصورة نهائية •

وتتجلى لك ضخامة حقل ابو قيق من الجو في صورة هـذه النيران المستعرة التي قلت لك انها عبارة عن احراق هذه الغازات التي يفصلونها من الزيت اتقاء لضررها وشرها • واذا قدرت النيران الناشئة من احراق غـازات الزيت في الظهران بشمعة فانها تقـدر في حقل الدمام ببضـع شمعات ، اما هنا في ابي قيق فانها تقدر بمائة شمعة • لقـد كنا نطير فوق منشآت البترول مرتفعين بأكثر من الف قدم ومع ذلك فقد اوشك القلب ان ينخلع من رؤية النيران خاصة • وراحت الطائـرة ترتج وتهتز حتى صدق عليها الوصف بانها ريشة في مهب الريح ، وما ذلك الا لتمدد الهواء في هذه المنطقة من جراء اشتعال هذه النيران •

واذا كان ابو قيق هو اغزر حقول البترول في منطقة الظهران فهو في ذات الوقت احدثها عمرا ، ولذلك فان العمران في بلدة ابو قيق لـم يصل بعد الى الدرجة التي بلغها في بلدة الظهران ، وهذه الحقيقة تبدو ساطعة من الطائرة ، فبينما الظهران توشك ان تكون مدينة كبيرة يتراءى لك من الطائرة نظـامها الهندسي الجميـل وبيوتها الانيقـة واحواض السباحة بها والنوادي الرياضية ، اذا ببلدة ابو قيق وليس فيهـا سوى منشآت البترول الكبيرة ، ولقد اتيـح لي بعد ذلك ان اجوس خـلال ابو قيق بالسيارة فوجدتها في دور الانشاء والتخطيط تسير نحو العمران

بخطى سريعة ، ولن يكون بعيدا اليوم الذي تتفوق فيـه على الظهران بعد ان اصبحت من اكبر مراكز البترول في العالم •

وواصلت الطائــرة تحليقها وبدأنا نضرب في سماء الصحراء المقفرة مرة اخرى فقد كنا ذاهبين لنشهد بئرا لا تزال في مرحلة الحفر • وبينما كانت الطائرة تطير فوق هــذا الخضم ، وكنت اعجب كيف يحددون في هذا المحيط نقطة بالذات ليبدأوا منهــا الحفر ؟ ومرة اخرى عــاد الي الشعور بأن ذلك يشبه أن يكون كالبحث عن ابرة في اعمــاق البحر ، وسألت المهندسين من رفقائنا ونحن في الطائرة ان يقربوا لي الموضوع فأجابوني بانهم غير مختصين في هذه المسألة وانني سأقف على كل هذه المعلومات بنفسي من المختصين عندما نصل الى المكان الذي نقصده •

ولكن هذا المكان الذي نقصده لم يلح في الافق ، وظللنا نضرب ساعة من الزمن دون ان نصل اليه حتى خيل الينا اننا قد ضللنا الطريق ، وتشكك الطيار معنا في احتمال انه قد ضل • واخيرا وبعد لأي تأكد انــه لم يضل ، وعادت الينا الثقة ، وبعد قليل اقتربنا من نقطة سوداء انقشعت بالتدريج عن بئر في مرحلة الحفر ، والبئر في مرحلة الحفر يقوم فوقها هذا البرج الضخم من قضبان الصلب الذي يستخدم لدق المواسير في الارض الى اغوار عميقة ثم سحبها من حين لآخر لمعرفة نتيجة الحفر • وهبطت بنا الطائرة علــى مقربة مــن البئر وجاءت سيارة فأقلتنا الــى موضعه ، حتى اذا جئناه ، وجدنا هذا البرج الضخم الذي حدثتك عنه والذي يزداد ضخامة باقترابك منه وتقوم الى جواره كتلة ضخمة مــن الآلات اللازمة لتوليد القوى ودق الانابيب في الارض ثم رفعها مــن حين لآخر •

ظهر على الفور اننا لم نكن محل ترحيب ، وتقطب وجه المختص بعملية الحفر وزميله الامريكي يحدثه عن هوايتنا•وبعد تردد اشار الى

مرافقنا اننا نستطيع ان نصعد فصعدنا الى الطابق الاول من هذا البرج حيث يقف العمال ويدور العمل .

وكان اول ما لاحظناه اجتماع بعض العمال وعلى رأسهم المختص بالحفر حول انبوبة مطاطية لا يزيد قطرها عن نصف بوصة ، وقد امسكوا بها وغمروا طرفها في وعاء صغير به ماء ، وراحوا يرهفون السمع ويحملقون بالاعين ليروا ماذا سيحدث في الماء ولم نكن ندري ان الله قد شاء ان يهيىء لنا فرصة ذهبية وهو ان نصل في اللحظة التي يخفق فيها قلب حافر البئر ومن معه من العمال .. اللحظة الرهيبة التي يتصورون فيها انهم وصلوا الى طبقة البترول ، ويتوقعون ان يروا ما يدل على ذلك . وهذه الانبوبة المطاطية التي امسكوا بها متصلة بهذه الانابيب الفولاذية الغائرة في الارض الى اعماق سحيقة ، فاذا اقتربت هذه الانابيب من المناطق التي يوجد بها البترول اندفعت الغازات في الانابيب الفولاذية ثم في الانبوبة المطاطية المغمورة في الماء فيظهر أثرها في الماء على شكل فقاعات ، فاذا ظهرت هذه الفقاعات كان ذلك هو البشير على قرب البترول ، اما اذا لم تظهر فان ذلك هو الدليل على انه يجب المضي في الحفر الى اغوار اعمق على اساس ان منطقة البترول لم تأت بعد او ان يكون الدليل على ان المنطقة ليس فيها بترول بالمرة .

وباستطاعتك ان تتصور مدى توتر اعصاب العمال والمشتغلين بعملية الحفر وخاصة المشرف على العملية في هذه اللحظات الحاسمة عندما يقترب الى العمق الذي يظن ان البترول فيه ، ثم يأمر بوضع انبوبة المطاط في الماء لكي يكشف هذه الحقيقة .

وفي هذه اللحظة الدقيقة وصلنا وقد شرح لنا مرافقنا الموقف بسرعة ثم راح يجحظ بعينية الى وعاء الماء الذي وضع فيه طرف الانبوبة وراح ينظر ورحنا ننظر معه ، فلم يبد في الماء اي اثر لفقاقيع ، وأمر

رئيس العمل ان يضيفوا بضعة امتار من المواسير ويستأنفوا دقها في الارض وسرعان ما تمت هذه العملية ومرة اخرى وضعت الانبوبة فـي وعاء الماء لاكتشاف الفقاعات فلم يكن ثم شيء ، فاذا بـه يصدر امره بسحب الانابيب كلها مـن باطن الارض ، اي سحب انابيب غائصة في الارض ، طولها سبعة آلاف قدم ، وذلك لكي يعرف نـوع الطبقات الارضية التي وصلت اليها الانابيب بامتحان العينات التي تكـون قد نفذت الى داخلها ، ويقف على السبب في عدم ظهـور البترول • ولم يكد المشرف على العمل يعطي الامر بسحب الانابيب حتى بدأت الروافع الضخمة في سحبها من باطن الارض فيقبل العمال عليها ليفكوها من بعضها لانها ليست سوى انابيب طـول كل منهـا خمسة امتار وتتصل بأختها بواسطة (قلاووظ) في نهاية كل انبوبة منها •

وأقبل علينا المهندس الامريكي وقـد ارتسمت على وجهه ابتسامـة لاول مرة ، وراح يطوف معي ليريني الآلات التـي تولد القوة اللازمة لادارة العملية ، ويريني الطين المخصوص اللازم لعملية الحفر • ولمـا كان دوي الآلات يحول بيننا وبين سماع شيء فقداقترح علينا المهندس ان نغادر هذا المكان وان نذهب الى المكتب والمعمل ليشرح لي ما اود ان اعرفه •

واعتذر لي المهندس عن انه لم يحسن استقبالنا فقد كـان متوتر الاعصاب بسبب انتظاره ظهور الغاز ، وهي اللحظة التي يترقبونها طوال بضعة اشهر يمضونها في الحفر قبل ان يصلوا اليهـا ، وكان عليـه ان يصدر قرارا خطيرا في الموضوع ، أيأمرهم بمواصلة الحفر ام يأمرهم بسحب الانابيب كما حدث لمعرفة ماذا حال دون ظهور البترول ، والقرار بسحب الانابيب بعد الوصول الى هذا العمق معنـاه عمل بضعة ايـام متواصلة في سحب الانابيب وفحص ما في نهايتها من طبقات الارض ،

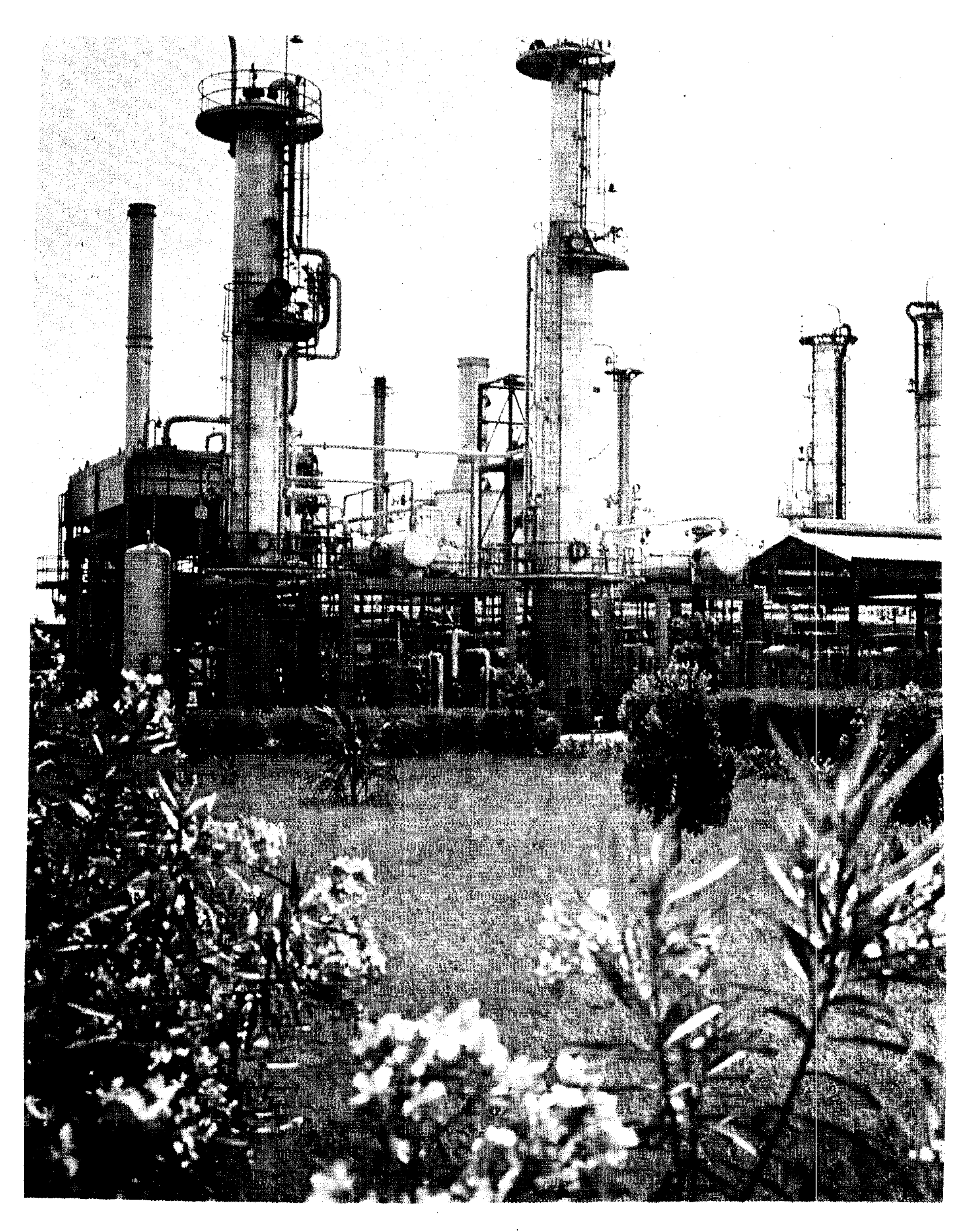
ثم اعادتها من جديد الى حيث كانت ، ومواصلة الحفر مرة اخرى ، قال لنا المهندس : فاما الآن وقد اصدرت القرار فقد انتهيت من مهمتي ، واصبحت لا عمل لي حتى ينتهوا من اخراج الانابيب ، وهو ما يستلزم امدا طويلا ، ولذلك فاني أضع نفسي تحت خدمتكم .

قلت له : انني اريد ان اعرف كل شيء ، ولماذا اخترتم هذه المنطقة بالذات لتحفروا فيها ؟ وما هي الاعمال الفنية التي تقوم عليها عملية الحفر ؟ واليك ما قاله لي وما طالعته بعد ذلك في الكتب الخاصة بهذا الموضوع .

عملية التنقيب عن البترول بالتعرف على المناطق التي يظن احتمال أسباب تكون البترول.والمقول الآن : ان زيت البترول ليس الا ثمرة تحلل العناصر الحية في باطن التربة والتي كانت في الاصل اسماكا وحيوانات بحرية ونباتات (١) واعشابا ، ويعزز هذا الرأي انهم كثيرا

---

(١) كانت شطآن البحار مرتعا لكثير من الطحاليب والاسماك ، تقضي ما قدر لها من عمر في هذه الحياة ، ثم يلحقها الموت ، فتتراكم جثثها واجسادها على القاع ، ويرتع الخلف ما شاءت له المقادير ثم يلحق بالسلف ، كومة فوق أخرى ، والى هذه القيعان الشاطئية تتدفق الامواه والسيول البرية حاملة طميا وفتاتا من الصخور ، وجارفة اجداثا اخرى وفروعا واوراقا واغصانا ، وقاع الشاطىء لا يمتلىء ولا يتخم ، بل كلما ألقي فيه حمل وتراكمت عليه كومة ، وارتفعت عليه الرواسب ، انخفض القاع انخفاضا بطيئا ليحفظ العمق ثابتا . ولتاتي كومة أخرى فوق سابقتها . وهكذا تعالت وارتفعت وعظمت هذه الرواسب بما فيها من رمم واجداث ومواد عضوية . ولو كشف عن ابصارنا الغطاء ، وقدر لنا ان ننفذ ببصيرة واعية الى ذلك الماضي السحيق ، لرأينا هذه المواد العضوية جميعا لا تكاد تسرع اليها بكتريا التعفن لتتلفها حتى تحتضنها الرواسب



مصفاة بترولية



ما يجدون في زيت البترول كثيرا من المواد العضوية مـن بقايا الاسماك والاحياء المائية • على ان هناك آراء جديدة تفسر تكوين زيت البترول تفسيرات اخرى كقولهم انه وليد عمليات مـن التفاعل الكيميائي بين ما ينطوي عليه جوف القشرة الأرضية من الماء وكربونات الماء •

وأياً ما كان منشأ البترول فقد اصبح للجيولوجيين الان علامات يستدلون بها على وجود البترول في مكان من الامكنة ، واضخم هذه العلامات ان ترى طبقات الارض في مكان مـا متقوسة بحيث تشبه القبـة ، فاذا وجدت طبقات الارض على هذه الصورة في منطقة من المناطق اقبل عليها الجيولوجيـون يدرسونهـا بالتفصيـل ، فيمتحنـون ترتيب الطبقات الارضية فيها ، فاذا كانت هذه الطبقات مرتبة بطريقة معينة زاد ذلك من احتمال وجود البترول ، ذلك ان التجارب قد دلت على ان البترول يوجد

المعدنية من طمي وطين فتحميها من التلف والفناء .

ثم انتهى عصر ترسيب المواد العضوية ، واخذ الفتات الصخري يرقد فوق هـذه الاجداث والرمم طبقة اثر طبقة ، واناخت بكلكلها اثقال شداد ، فكان الضغط وكانت الحرارة ، فاستقطرت من هذه الحياة القديمة هذا الزيت الساحر الذي يقولـون عنـه « الذهب الاسود » ويسمونه زيت الصخر . وما هو من الصخر في شيء ، وما تجوز عليه التسمية الا كما تجوز ان تسمى الوديعة باسم من اودعتها عنده ، لا باسم مودعها وصاحبها الشرعي ، ولـو انصفنا لاسميناه « زيت الاحياء القديمة » .

ولو ان رجـلا دخل الى قلب الارض في ذلك الحـين ، وضمته بهـذا العنف الذي يهري اللحم ويحلله لكان اليـوم وقودا يدفـع بسيارتك في هذه الحياة الدنيا .

ولقد استطاع بعض العلماء ان يقلدوا ما حدث فـي الطبيعة ، ليستقطروا الاجداث والاموات والمواد العضوية بالضغط والحرارة في معاملهم ، فنجحوا وانتجوا البترول (نقلا عن كتاب قصة البترول قصة البترول للاستاذ يوسف مصطفى الحاروني) .

تحت طبقات معينة من المواد التي تتكون منها القشرة الارضية • وتبدأ دراسات الطبقات في باطن الارض بدراسة سطح الارض نفسه ، فهنالك علاقة كبيرة بين سطح الارض وما تليه من طبقات ، فاذا وجد الجيولوجيون على سطح الارض ما يشجعهم ، ذهبوا في بحثهم خطوة أبعد فاستعملوا ما انتهى اليه العلم من اجهزة دقيقةكالسسموجراف الذي ينبىء بذبذبته على صورة مخصوصة عن زيادة الاحتمال في العثور على البترول ، فينتقل البحث خطوة اعمق حيث يشرع الجيولوجيون في حفر آبار صغيرة على اعماق قريبة تصل احيانا الى مائتي قدم او اكثر او اقل ، فيدرسون طبقات الارض في هذه الثقوب الصغيرة ، فاذا وجدوها على الترتيب المألوف والذي يسبق وجود البترول زاد ترجيحهم لوجوده • وبعد حسابات وتقديرات معينة يقرر الجيولوجيون الاقدام على المرحلة الاخيرة مرحلة حفر بئر كاملة والتي هي الحكم الفيصل النهائي لمعرفة ما اذا كان يوجد زيت بالفعل او لا يوجد فيحددون للحفار البقعة التي يبدأ فيها عمله •

وتستجلب هذه الآلاتالضخمة ويركب هذا البرجالشامخ من قضبان الصلب الذي يبلغ ارتفاع كل منها خمسين مترا في المكان المعين ، ثم يشرع في دق الاسطوانات في الارض • وقد اصبحت هذه الاسطوانات الآن لا تدق وانما تبرم الارض برما بواسطة آلات محركة قوية جدا • وهذه الآلات تحرك قرصا افقيا فوق فوهة البئر ، وهذا القرص تنزل منه اسطوانة في اسفلها رأس البريمة الحافرة ، وحين يدور هذا الرأس ، القوي الصلابة ذو الاسنان البارزة المتينة ، يأكل في الصخور بقاع البئر فيبريها ، وتلك الاسطوانة التي تعمل كساق للبريمة مكونة من قطع ، كلما قاربت قطعة نهايتها ركبت بطرفها العلوي قطعة اخرى وهكذا ، ورأس البريمة نفسه قد ينبري ويثلم فيرفع الساق قطعة قطعة

ليوضع رأس آخر ويعاد شحذ الاول وتستأنف عملية الحفر .

غير أنه كلما تعمقنا في باطن الارض وارتفعت جدران البئر واستطالت ، خشي معها على الانهيار والسقوط ، لذا وجب ان تحمي هذه الجدران وان تبطن باسطوانة حديدية تمنعها من الانقضاض وسد البئر ، ووضع هذه الاسطوانة يجعل فتحة البئر واتساعها اضيق من ذي قبل ، فتستعمل آلة حفر اصغر من الاولى ، حتى اذا بعد بها الحفر ، وجب تبطين الجزء الجديد ، دفعت اسطوانة ثانية اضيق من الاولى وأبعد عمقا ، لتغلف هذا الجزء الجديد ، وليس التغليف الثاني مقصورا على الحفر الجديد ، بل لا بد ان يبدأ من سطح البئر ، فترى على السطح حلقات متداخلة ، الخارجية منها لاسطوانة التغليف الاولى ، والثانية تبطن الاولى وتذهب بعيدا لتبطن الحفر الجديد ، والثالثة شأنها مع الثانية كشأن هذه مع الاولى وهكذا ، تضيق البئر شيئا فشيئا كلما توغلنا في الحفر .

ومن الواضح ان اسطوانة التغليف لا يدفع بها كاملة بهذا الطول الكبير دفعة واحدة الى داخل البئر ، بل تدفع في قصبات متوالية.كلما نزلت واحدة وقاربت نهايتها ، امسكت من طرفها العلوي على السطح ، وركب اليها طرف القصبة الثانية والثالثة وهكذا (١) .

هاتان هما العمليتان الرئيسيتان في حفر البئر وهما عمليتا الحفر والتبطين وهناك عملية ثالثة اكثر صعوبة ومشقة من هاتين العمليتين وهي عملية تنظيف البئر من هذا الفتات الناتج باستمرار من عملية الحفر ، وسبيلهم الى هذا التنظيف ان يدفعوا بطمي سائل خلال اسطوانة الحفر الى قاع البئر، ويدفعوه بقوة ضاغطة فيحمل ذلك الفتات ثم يخرج

---

(١) راجع كتاب قصة البترول ـ المرجع السابق الاشارة اليه .

به عن طريق الفراغ الواقع بين اسطوانة الحفر وبين جدار البئر •

انتقل بنا المهندس بعد ذلك الى معمل البحوث حيث أراني العينات المختلفة التي يستخرجونها من باطن الارض اثناء الحفر وكيف يفحصونها تحت المجهر ليحققوا خصائصها وليعرفوا اذا كانوا يسيرون نحو الهدف او انهم ضلوا الطريق • ويلقى الجيولوجيون والمنقبـون عـن البترول صعوبات يشيب لهولها الولدان في العثور على اولى آبار البترول في منطقة من المناطق ، اما بعد ذلك فان العملية تصبح اكثر سهولة ، ذلك أن هذه البئر المكتشفة تعين لهم طبقات الارض التي تسبق بحيرة البترول في هذه المنطقة وترتيب هذه الطبقات ونوع الصخور والعمـق الذي توجد تحته هذه البركة ، فيساعدهم ذلك كله عندما يشرعون في حفر بئر ثانية ، اذ انها تتقارب في أغلب الاحيان وتتحدد خصائص كل منطقة وكل حقل من الحقول فتسهل العملية •

وعندما تصل الانابيب الى بحيرة البترول تندفـع الغازات بما في باطن الارض من قوة ضاغطة ، ولا يلبث زيت البترول ان ينـدفع علـى أثر الغازات بقوة هائلة بحيث يبادر المنقبون باحكام سد فوهة البئر على الفور كي يحولوا دون تدفقه وتبدده في الرمال ، ثم يركبـون على البئر من الاجهزة والمضخات ما يتحكمون به في ناتج هذه البئر كما قدمنا ، فلا يسمحون بتدفق البترول منه الا بمقدار معقول •

ومن أراد الآن ان يذهل لمعرفة مدى مـا تخرجه البئر مـن البترول في منطقة الظهران فما عليـه الا ان يعرف ان مـا تخرجه بئر البترول في امريكا لا يزيد عن ١٢ برميلا في اليوم ، بينما تخرج البئر فـي الظهران خمسة آلاف برميل في اليوم ، وهي نسبة فاحشة في الارتفاع من شأنها ان تعرض ارصدة البترول في حقول جزيرة العرب الى الاضطراب بل وخطر الاستنزاف • ولذلك فان شركة ارامكو تعمـل على حفر آبـار

جديدة في الحقول المكتشفة لتخفف الضغط عن الآبار التـي تنتج في الوقت الحاضر بهذه القدرة العالية .

وكانت قد أتيحت لي الفرصة ان ارى بالامس واليوم عينات من زيت الخام المستخرج ، فلفت نظري على الفور قلـة كثافتها على خلاف زيت البترول المصري الذي شاهدته يوما من الايام فـي معامل التكرير بالسويس فاذا به كثيف غليظ ، فأشرق وجه محدثي المهندس بالاهتمام وأنا أقول له هذه الملاحظة وقـال لي : ان مرجـع ذلك هو توفر عنصر الاسفلت في الزيت المصري وانعدامه مـن الزيت العربي (١) . وأبدى اسفه لخلو الزيت العربي من هذا العنصر الهـام الذي يحتاجون اليـه لتعبيد الطرقات . وقال لي : كم نتمنى لو أتيـح لنا ولو بئر واحـدة تخرج زيتا يحتوي على عنصر الاسفلت لشدة حاجتنا اليه ، فلا سبيل لنا الى تعبيد الطرقات الا بالصورة التي تراها وهي ليست وافية بالمرام. وطريقتهم في التعبيد ان يرشوا بترولا خاما على ارض الطريـق كل بضعة ايام فيثبت اجزاءها ويجعلها قادرة علـى تحمل الاثقـال الضخمة التي تمر عليها ، وغني عن البيان ان هذه الطريقة تكلف كثيرا جدا فضلا عن انها لا تهيىء طرقات من الدرجة الاولى ، وان كانت تفـي بالحاجة في الوقت الحاضر .

وخلو زيت البترول من الاسفلت معنـاه ارتفـاع كمية البنزين والكيروسين التي يمكن استخراجها من الزيت ، فهو من هـذه الناحية أثمن من زيت البترول المصري الذي يحوي علـى كمية ضخمة مـن الاسفلت على حساب البنزين والكيروسين بطبيعة الحال ، ولكن انعدام الشيء دائما يجعل له قيمة ثمينة فانعـدام الاسفلت بالكلية في الزيت

---

(١) وجود الاسفلت في زيت البترول يدل على انه لـم يستكمل نضجه وتقل كمية البنزين والكروسين التي يمكن استخراجها منه .

العربي جعل القوم يتحسرون ويغبطوننا لتوفر الاسفلت في زيتنا •

الى رأس التنورة :

انتهت زيارتنا لهذه البئر « تحت الحفر » وحصلت على كل المعلومات العامة التي تهمني في هذه الناحية ، فعدنا الى الطائرة وامتطيناها فطارت بنا صوب الشاطىء مرة اخرى في طريقها الى رأس التنورة حيث تقوم مصانع التكرير الكبرى التي توشك ان تفوق مصانع عبدان الايرانية على الجانب الآخر من الخليج العربي والتي كان يظن انها شيء لا يحلم بالاقتراب منه فضلا عن التفوق عليه •

ورأس التنورة كما يتجلى من اسمها هي لسان من الارض يمتد وسط الماء ، وقد اختارتها شركة ارامكو لتبني عليها معملا لتكرير البترول لوقوعها في مكان مناسب لعمليات الشحن والتفريغ البحريتين•

ووصلنا اليها بعد ساعة ونصف بالطائرة فنزلنا بالمطار الملحق بالمنشأة ووجدنا انفسنا على التو نواجه شيئا يتضاءل الى جواره كل ما رأيناه حتى الآن •

وقد احتاج الامر لكي نطوف بأرجاء المؤسسات الى استخدام السيارة في تنقلاتنا ، فراحت تنطلق بنا وسط الآلات والانابيب واجهزة التقطير ومولدات الحرارة والمكثفات • وكان منظر خزانات البترول التي يستقر بها البترول بعد تكريره شيئا لا مثيل له في اي بلد من بلاد العالم ، ذلك ان بلاد البترول الاخرى تتصرف على الفور في الكميات الناتجة من حقولها • اما هنا فلان البترول مخصص للاستهلاك عبر البحار ، ولان الوسيلة الوحيدة لنقله هي ناقلات البترول التي قد يتأخر وصولها لسبب من الاسباب ، اصبح لا غنى عن انشاء مستودعات ضخمة لحفظ اكبر كمية من البترول بها ريثما يتم شحنها ، فكانت هذه المستودعات ، التي تضاءل حجمها من كثرة عددها مع انك لو رأيت

مستودعا واحدا منها على حدة لهالتك ضخامته ، ولكن عندما ترى منها مئات متجاورة تنسى حقيقة حجمها .

ولقد رأيت في مصر كما أشرت من قبل ، معمل تكرير البترول التابع للحكومة المصرية في السويس ، وفي طريق ذهابك اليه ترى منشآت شركة شل للتكرير قائمة ، ولو ضم معمل تكرير شركة شل الى معمل تكرير الحكومة لما زاد على أن يكون جزءا من عشرين جزءا بالنسبة لمعمل التكرير في رأس تنورة . وتتضاءل هذه النسبة لتصل الى اقل من جزء من مائة جزء اذا نظرنا الى مجموع المنشآت التكميلية في رأس تنورة : فمن ورش لاصلاح الآلات الى مخازن للمهمات ومدارس لتعليم العمال العرب مختلف انواع التعليم الخ ...

حتى لقد رأينا مدرسة لتعليم قيادة السيارات طبقا للاصول الفنية الحديثة ، لا كما هو الحال في مصر حيث يتعلم الناس القيادة بالاجتهاد نقلا عن بعضهم .

وقدم لنا طعام الغداء في مطعم كأحد المطاعم الامريكية الكبيرة الذي يتسع لبضع مئات يتناولون الطعام في آن واحد . وعلى مائدة الطعام سمعنا نفس الشكوى التي نسمعها في كل مكان اذا ما كنت في منطقة الظهران الا وهي ان غزارة البترول المستكشف يوما بعد آخر تفسد دائما على القوم خططهم ومعداتهم .

ان شركة أرامكو كانت تتولى تكرير ما ترغب في تكريره من البترول محليا في معامل البحرين ، ولذلك فقد مدت اليها خطا من الانابيب كان يتجلى لنا في اثناء ركوبنا الطائرة .

ثم رئي ان معامل البحرين لا تستطيع ان تفي بالحاجة ، فاستقر رأي شركة أرامكو على انشاء معمل خاص بها واختارت رأس تنورة

لهذا السبب ، ورأت ان تجعل انتاج المعمل يقدر بخمسين الف برميل في اليوم . وقد لوحظ في هذا القدر بالاضافة الى ما يكرر في البحرين أنه يفي بكل الحاجيات المطلوبة من الزيت المكرر ، وتم الفراغ من انشاء معمل التكرير في رأس تنورة في سنة ١٩٤٥ م ، وكان يظن ان الامر لن يحتاج الى تشغيل المعمل بكل طاقته ، فما هو الا عام آخر وعام آخر حتى كانت الشركة مضطرة الى مضاعفة انتاج المعمل ، ثم الى ما هو اكثر من الضعف فأصبح الآن يكرر ١٢٠ الف برميل في اليوم ، وعند كتابة هذه السطور لا بد ان يكون هذا الرقم قد جاوز المائة وخمسين الف برميل . واليك بيان بانتاج معمل التكرير في السنوات المتعاقبة :

السنة	القدر بالبرميل سنويا
١٩٤٥	٣ر٤٥٢ر٣٦٣
١٩٤٦	٢٩ر٢٩٧ر١٠١
١٩٤٧	٣٩ر٠٦٥ر٠٦٠
تقدير ١٩٥١	٤٦ر٧٠٠ر٠٠٠

وهكذا تكرر لك هذه الارقام ذات القصة وهي أن نمو الانتاج في منطقة الظهران وغزارته تفوق كل ما يمكن ان يطوف بالحساب او الخيال . وقد وقع في يدي تقرير الشركة عن عام ١٩٤٨ فاذا به ينص على أن مقدار ما كرر بالفعل في هذه السنة ، القدر الذي كان محددا لبلوغه عام ١٩٥١ .

بترول الشرق الاوسط :

ويحسن بنا وقد وصلنا الى هذا القدر أن نحدثك بالتفصيل عن كميات البترول في الشرق الاوسط ونسبتها لما يوجد من البترول في العالم ، لتقدر مدى ما اصبح للشرق الاوسط من خطورة .

لقد اصبح البترول هو المادة الاساسية لحيـاة العالم الميكانيكية في الوقت الحاضر • فالطائرات والسيارات والقطـارات والآلات كل هذه تدور بالبترول ومشتقاته ، ومستقبل اية امة مـن الامم سواء في الحرب او السلم يتوقف على كميات البترول التـي تستطيع ان تسيطر عليهـا بعد ان اصبح البترول مادة اساسية لمئات الصناعات (١) ولقد استطاعت

---

(١) حين تسرح الطرف في حجراتك وحيثما تمر ببصرك فثمـة اصبع للبترول : طلاء الحائط الزيتي ، والمشمع الذي فرشت به الارض ، وما يكون في حجرتك من أدوات البلاستيك من زر الكهرباء او فرشـة او مشط ، انما خرجت جميعا عن البترول . ولو ذهبت مثلا الى الحمام ، فالبترول هو الذي رفع اليك الماء، واليوم يمدك بالصابون، اذ عنه تخرج الاحماض الدهنية التي تقوم عليها هـذه الصناعة . ولو حلقت اللحيـة فكريم الحلاقـة قد دخل في تركيبه منتجـات البترول . وما تضعه على شعرك من « البريانتين » اسهم في صنعه البترول . وهذه مائدة الفطور قـد اعدهـا لـك وانضجها موقد البترول . ولو تصفحت جريـدة الصباح فانما قـد خطها اليـك البترول ، هو الذي جمع اخبارها ومدها بأحبار الطباعة ثم حملها اليك بما سيره من وسائل المواصلات .

فاذا ما بدات في ارتداء ملابسك فاذكر البترول ذكرا طيبا ، اذكره فيما ترتديه من الجوارب الصناعية ، واذكره فـي ملابسك الصوفية التي شحمها البترول فسهل نسجها ، ثم صبغها ورسمها باللون الذي تفخر به وتتيه ، وحذاؤك لقد صنع مـن الجلد الذي عولج « بزيت الجلد » عند صناعته ، وانك لتنظفه وتلمعه بما يمـدك به البترول من « الورنيش » . =

= ولو خرجت الى عربتك او وجدت لقدمـك موضعا في السيارة العامة فانما تركب البترول ، فهو الوقود الذي يحرك هذه الدابـة الآلية ، وهو الذي يليّن مفاصلهـا الحديديـة بالتشحيم ، ويغسـل بمنظفاته جوفها وامعاءها ، واليـوم ينبري ليضع لها عجلاتها مـن =

الولايات المتحدة وهي اعظم الدول الحديثة انتاجا ان تنتج في بلادهـا من البترول ما استطاع حتى الآن ان يسد حاجاتها المتزايدة ، وان يساعدها على هذا التطور الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية . وكان لدى الولايات المتحدة فوق ذلك كلـه فائض استطاعت ان تصدره للعـالم فكانت مـن أعظـم الدول المصدرة للبترول في العـالم ، ولكـن لكل شيء نهاية ، وقد وصلت نهاية الولايات المتحدة الامريكية في هذا الباب في سنة ١٩٤٧ م ، فبالرغم من كل المجهودات التـي بذلتها الولايات المتحدة في التنقيب عن حقـول جديدة للبترول ، وبالرغم مـن التحسن العظيم في وسائل التنقيب والانتاج فان سنة ١٩٤٧ م قد شهدت نقطة التحول في تاريخ الولايات المتحدة ، فأصبح ناتج البترول فيهـا يسد

= المطاط الصناعي الذي يخرج من البترول ، وحتى الطلاء الذي يزيـن العربة كان للبترول شأن فيه . وسوف تنطلق بك على طرق رصفها وعبدها ما نقل من مشتقات البترول من الاسفلت والقار !

وانك لتخلف وراءك زوجتـك واولادك يعملـون بالبتـرول : ينضجون الطعـام ، وينظفـون الاثاث ويمسحون ارض الحجرات بمركبات البترول ، فالكيروسين في المواقد ، والورنيش المعد لتلميع الاثاث والآخر المعد لتنظيف الارض يحتويان مـن مركبـات البترول وشمعه على ما يعيد الجدة والرونق . ولو كان لهم ان يقوموا بشيء من الكي ، لنظفوا الملابس بالبترول فزالت عنها اقذارها . وسخنوا آلاتهم بوقود ، فاعادت اليها بهاءها وانسجامها ، ثم يعيدونها الى « دولاب » الملابس الذي حفل بالنفتالين البترولي ليقتل الحشرات ويقي الملابس شرها !.. وانت تذهب الى مكتبك فتنظر الى التلفون الذي يصلك بالعالم الخارجي ، ويجمع الدنيا باسرها فيضعها في تلك الآلة الصغيرة فوق مكتبك . لقد صنع هذا الصندوق الاسود من البترول . ولو اشعلت سيجارة من ولاعتك الفاخرة فانما ذلك لانها عمرت بالبنزين المأخوذ من البترول . واذا شئت ان تأخذ =

حاجتها للاستهلاك ولا زيـادة ، بل ذهب الامر الى أبعد مـن ذلك فلم يزد الانتاج بحيث يكفي حاجـة الولايات المتحدة وظهرت الازمـة في بعض المناطق • وقد اصبح من الحقائق المقررة الآن ان الولايات المتحدة ستتحول الى دولة تستورد البترول • وباستطاعة الولايات المتحـدة أن تستورد هـذا البترول من حقول البترول في امريكا اللاتينية ، من هذه المنطقة حول البحر الكريبي ، ولكن اوربا الغربيـة التي وقعت الآن تحت وصاية امريكا والتي تحتاج بدورها الى كميات كبيرة من البترول ، لم يعد هناك سبيل لمدها بحاجاتها من البترول الا من الشرق الاوسط •

وكذلك الحال بالنسبة الى قارتي افريقيا وآسيا • فهاتان القارتان لا بد لهما ان تعتمدا اعتمادا كليا على بترول الشرق الاوسط •

وحينما كانت انجلترا مسيطرة على العالم كانت هي صاحبة الكلمة الاولى في بترول هذا الشرق الاوسط ، فكانت حقول البترول فـي

= قسطا من الراحة وضايقك الذباب فاستعن عليه بالبترول !
وقـد تقصد الطبيب فيطهر جرحـك بمشتقـات البتـرول ، ويصف لـك الدواء الذي يشفيك فتعجب ان البترول قـد اقحم انفه في تركيبه .

وفي المساء تداعبك شركة النور فتقطع عنك التيار الكهربائي (الذي هو وليد محركات تدار بالبترول) فتستنجد «بلمبة الجاز» او بعض الشمع لينير لك السبيل.. وليس ذلك كله سوى البترول.

واخيرا فان زوجتك العزيـزة حـين تتجمل انما تضع بعض مشتقات البترول فوق شفتيها فتنطـق بحرارة الشباب . وتنعم الخد بكريم اسهم فيه زيت البترول وتسوي الشعر وتزجج الرموش والحواجب بما اخرج من مركبا تالبترول ، ثم تتطيب فتفري وتنفث برائحتها الذكية التـي لن تصدق ان البترول قد دخل فيهـا .. وهكذا تديـن بجمالها لزيت البترول سر المراة وسحر الرجل فـي العصر الحديث ... (قصة البترول ، المرجع السابق) .

ايران تحت سلطانها وحقول البترول في العراق وفي الكويت وفي مصر تحت سلطانها ، بل ان حق التنقيب فـي الجزيرة العربية السعودية كان من حقها كذلك . اما اليوم فقـد دال سلطان انجلترا واصبحت امريكا هي التي تتولى المسئولية عن ادارة العالم ، وأصبحت انجلترا ذاتها تحت وصايتها ، وكفالتها ، فقد أظهرت امريكا ارادتها في السيطرة على بترول الشرق الاوسط ، ولم يكن من المعقول ان تستسلم انجلترا في سهولة ، ولذلك فقد قاومت ولا تزال تقاوم ، وقد كانت قضية فلسطين هي أول مظهر من مظاهر هذا الصراع والمقاومة . فالامريكان قـد اخذوا بناصر دولة اسرائيل ليضمنوا انشاء دولة علـى شاطىء البحر الابيض تكون تابعة لهم ، وقد حاولت انجلترا ان تأخذ بعد فوات الوقت جانب العرب لتحول دون قيام دولة اسرائيل ، ولكن سياسة انجلترا فشلت علـى طول الخط وقـامت دولة اسرائيل وانتصرت امريكا وخذلت انجلترا ، ورأى الانجليز ان يقنعوا بالشركة مـع الولايات المتحدة وان يرضـوا بمنزلة الشريك الثاني في الشرق الاوسط ، وكان الاتفـاق على تقسيم البترول هو أهـم مظاهر هـذه الشركة الجديدة فأعطى للامريكان حصة فـي شركات البترول الانجليزية القائمة ، واعطى للانجليز حصة في الشركات الامريكية القائمة وما ينتظر قيـامه في المستقبل ، واتفق علـى ان تتم المشروعات بالاتفاق بين الدولتين عن طريـق انشاء لجنة مشتركة مـن ثمانية اعضاء نصفهم من الانجليز والنصف الآخر من الامريكان .

وبقي ان تعرف ان كميات البترول في العـالم المخزونة في باطن الارض تقدر بسبعين بليون واربعمائة مليون برميل ٧٠٫٤٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ويوجد من هذا القدر ٢١ بليون برميل في الولايات المتحدة بمفردها ، وتسعة بليون في أمريكا الجنوبية و ٦ بليـون في أوربا وما يقرب مـن ٦ بليون في روسيا و ٢ بليون في الشرق الاقصى وبقية بترول العـالم

توجد في الشرق الاوسط اي ٣٢ بليون • اي انه اصبح من المقرر الآن أن الشرق الاوسط يملك نصف بترول العالم وذلك على التفصيل الآتي :

الكويت	٩ بليون
العراق	٦ بليون
المملكة العربية السعودية	٧ بليون
ايـران	٩ بليون
دول أخرى	١ بليون
المجموع	٣٢ بليون

واذا علمت ان تنقيب البترول في المملكة العربية السعودية لا يزال في مرحلته البدائية جدا ، وان تقدير ما بها من مخزونات البترول انما هو تقدير ما يوجد في منطقة الظهران التي تم الكشف عنها ، وهذه لا تؤلف الا جزءا صغيرا جدا من منطقة الامتياز الممنوحة للشركة للتنقيب فيها ، ومساحتها تبلغ اربعمائة الف كيلومتر مربع اي ما يزيد على ولايتي تكساس وكاليفورنيا معا ، ولا تزال هذه المساحات التي لا اول لها ولا آخر عذراء لـم تطرقها اقدام العلماء حتى الآن ، بـل لم توضع لهـا الخرائط التفصيلية بعـد ، لأدركت أن المتوقع ان يكون في جزيرة العرب من البترول ما يزيد اضعافا مضاعفة على ما يظن انه بها حتى الآن •

★ ★ ★

ذلك ما كتبته منذ ربع قرن ، ولم تزد الايام الا تحقيقا لكل مـا جاء فيه وبنفس الاسلوب الذي لـم يتبدل ولـم يتغير • فكلما ظن ان الامر قد وصل الى نهايته ، اذا باكتشاف جديـد يتضاءل الى جواره كل ما سبقه من اكتشافات • فقـد كان حقل بقيق العجيب في مراحله الاولى عـام ١ ، ولـم تلبث الشركة ان اكتشفت حقلا جديـدا فـي

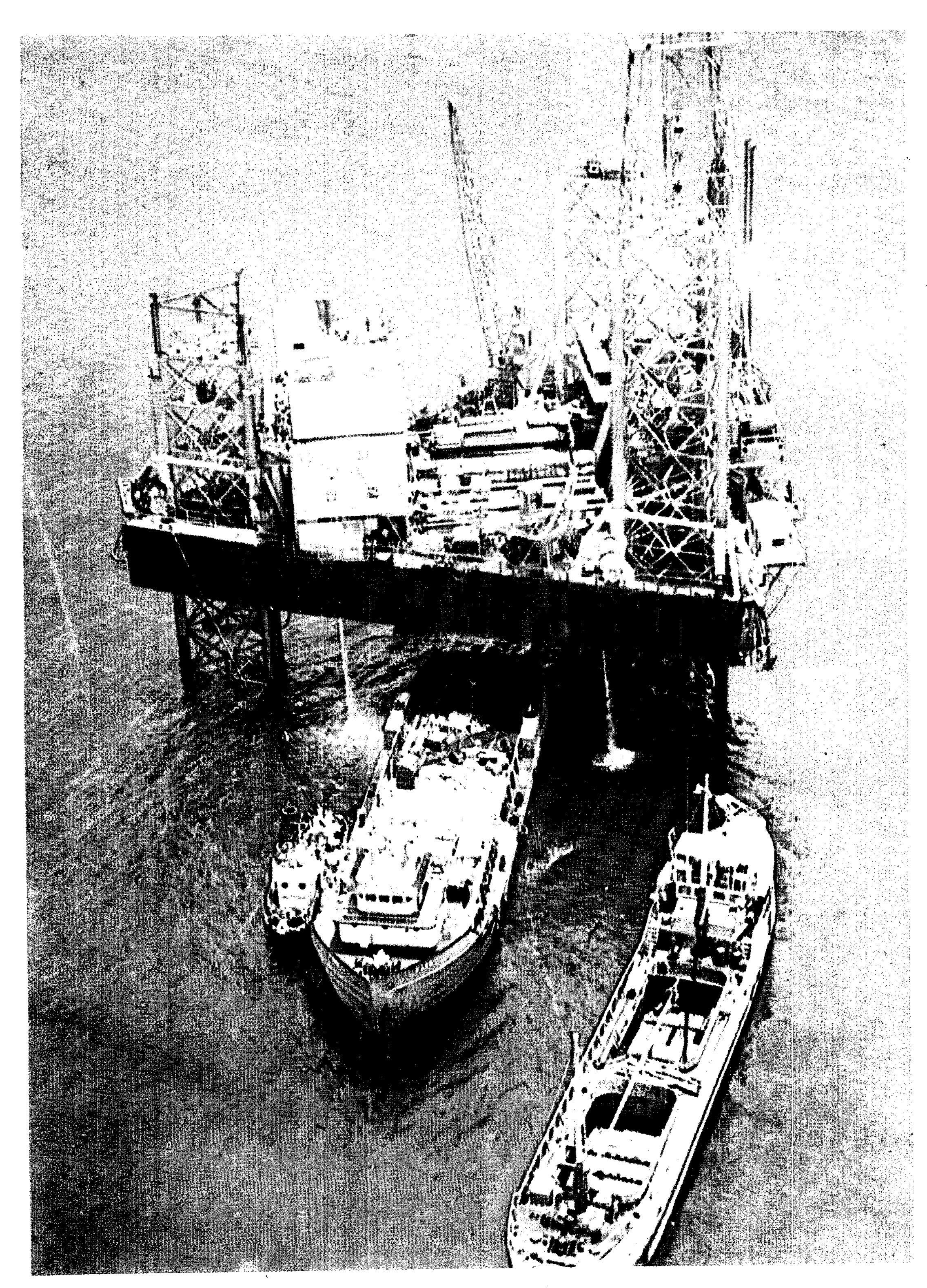
« السفانية » أذهــل بدوره منتجي البترول في الدنيا كلها بغزارة انتاجه التي لا مثيل لها ، وحسبك ان تعلم أنه « احدى السنوات (١٩٦٥) كان ينتج ٤٧٢ الف برميل على ان حقل بقيق ظ ل يلاحقه فأنتج في هذه السنة التي نحن بصددها ٤٠٩ الف برميــل • ولكن ستبقى قصة البتــرول في السعودية احد اسرار هذا الكون العجيبة ، فكما انبثق من الجزيرة العربية النور والايمان منذ اربعة عشر قرنا ، فها هو ذا ينبثق منها في عصر المادة الطاقة التي توشك ان تجعل الجزيرة العربية تمسك بيدها مصائر أمــم وشعوب • ان البترول يوجد في مناطق متعددة في انحاء العالم ، ولكنــه يوجد على شكل عيون وآبار ونافورات اما في السعودية فهو يوجد على شكل بحار ولعل هذا التشبيه يمكن ان يعطيك فكرة •

فحيث قلب منتجي النفط كاد ينخلع من الكميات غير المعقولة من النفط في حقلي بقيق والسفانية ، اذا بحقــل جديد يبلغ انتاجــه ضعف **انتاج الحقلين معا ، واعني به حقل الفوار الذي انتج وحده عــام ١٩٦٥** التي اتخذناها سنة للقياس ، ٨٩٠ الف برميل •

وقد كان التهديد بتدمير هذا الحقــل وحده هــو الذي شل اقدام الامريكان على استعمال القوة لفرض ارادتهم عندما جد الجد •

شركات اخرى :

ومضت قصة البترول المذهلة فقد حصلت شركة ارامكو علــى ما يفوق آمالها ، بل وطاقاتها ، فتخلت عن مناطــق شاسعة كان لها حق التنقيب فيها ، واعطيت لشركات اخرى بشروط احسن واحسن لصالح المملكــة وبدأت تتألف شركات مــن اليابانين والعرب ، **والفرنسيين** والايطاليين والعرب ، وانتهى الامر بتكوين شركة عربية بحتة ، وكلهــا كانت تعثر على البترول وبكميات ضخمة •



وحدة حفر في مياه البحر الاحمر قرب مدينة الليث

شبه الجزيرة كلها :

وتابعت ملحمة البترول في جزيرة العرب مسيرتها ، فبدأ البترول يكتشف كالطوفان في الكويت وفي بقية امارات الخليج ، وقطر والبحرين ، ودبي وابو ظبي ، وعمان ، واصبح بترول شبه جزيرة العرب هو مادة الحياة الصناعية التي تقوم عليها حياة اليابان وكل اوربا الغربية . المانيا وايطاليا وفرنسا وانجلترا ، كما بدأت رفاهية الولايات المتحدة تعتمد على بترول العرب .

وحسبي الآن ان انقل لك من تقرير لجامعة الدول العربية عن موقف البترول في العالم . اصبحت نسبة الاحتياطي البترولي في العالم على الوجه التالي :

نصف الكرة الغربي والبحر الكريبي وامريكا اللاتينية	٤ر١٣٪
البلدان الاشتراكية	١ر١٦٪
الولايات المتحدة	٥ر٧ ٪
افريقيا غير العربية	٨ر٥ ٪
البلاد العربية	٧ر٤٩٪

اي أن البلاد العربية وحدها اصبحت تملك نصف بترول العالم وتملك شبه جزيرة العرب وحدها اكثر من ثلاثة ارباع هذا الاحتياطي .

البحث عن طاقة بديلة :

وهم يتحدثون عن امكان التوصل الى طاقة جديدة ، ولا بد انهم وحتما سيتوصلون الى هذه الطاقة الجديدة ولكنها لن تكون بديلة عن البترول ، بل ستعمل الى جوار البترول . ان في العالم مئات الملايين من السيارات والطائرات، واي نظام جديد للطاقة سيستعمل في الاغراض

والمنشآت الجديدة وسيظل البترول أثمن مادة اولية يحتكم عليهـا البشر وسوف تزداد قيمتها مع الزمن ، وحسبنا ان نتصور ان ثمنها تضاعف في اقل من سنة الى اربعـة اضعاف ، وحيث تتردد اصوات خافتة فـي انقاص سعره يتنفس العالم الصعداء عندما يقـال له ان ثمن البترول لن يرتفـع في الاشهر الثلاثة التي تبـدأ من ابريل عام ١٩٧٤ . ولست هنا أدرس موضوع البترول وانما أتحدث عـن الملك فيصـل وكيف صبر وكيف حسب ودرس حتى اذا استوثق ، اعتمد على الله وضرب .



خاتمة

نظرة إلى المستقبل

انا من المؤمنين ان ما تم على يد انور السادات ، مثل ما تم على يد الملك فيصل هو بتوفيق الله وارادته التـي شاءت ان يبدل الدنيا غير الدنيا ، وان يهيىء للعرب والمسلمين فرصة لينهضوا من كبوتهم ويثبتوا وجودهم ، وانا في ذلك اترنم بقول الله عز وجل لرسوله « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » وقوله سبحانه وتعالى « فما قتلتموهم ولكن الله قتلهم » وقوله تعالى « وما النصر الا من عند الله » ولكـن نسبة الامور كلها لله ، لا يتعارض مع اكرام من اجرى الله الفضل على يديه ، بل ان هذا الاكرام يصبح واجبا علينا باعتباره جزءا مـن ايماننا بالله ، فالاسلام لا يتم الا بالشهادتين معا ، الشهادة بوحدانية الله وان محمدا عبده ورسوله . وعلى هذا الاساس كتبت عن انور السادات واكتب عن فيصل تمجيدا لفضل الله الذي اجراه علـى ايديهما وعلى بقية قـادة العرب ابتداء من حافظ الاسد (سوريا) وهواري بومدين (الجزائر) والملك الحسن (المغرب) والحبيب بورقيبة (تونس) والشيخ صباح السالم صباح (الكويت) والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (دولـة الامارات العربية المتحدة) والشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة (البحرين) والملك قابوس

(سلطنة عمان) اي ان اليقظة العربية كاملة ولا مراء ان فيصل بموقفه كان من اعظم العوامل التي جعلت كل هذا الذي حدث ممكنا .

فماذا حدث :

اننا لكي نعرف حقيقة ما حدث يجب ان نعرف اولا ما الذي كانت احوال العالم العربي قد وصلت اليه .

كانت اسرائيل قد هزمت العالم العربي كله بهزيمة مصر الساحقة وسوريا والاردن واحتلالهـا القدس وما بقي مـن فلسطين مما عرف باسم الضفة الغربية وقطاع غزة كما احتلت سيناء وعطلت الملاحة فـي قناة السويس ، واصبحت حدودها الجديدة في قلب مصر ، وعلى مرمى من المدينة المنورة ذاتها .

وتمزق العرب واختلفـوا وراحـوا يواجهـون بعضهم بعضا ، واستغلت اسرائيل ذلك كله فراحت تعربد في المنطقـة وتوهم الدنيا كلها انها اصبحت سيدة العرب تفعل فيهم وبهم ما تشاء ، وان السبيل الوحيد لاستمرار سلطان امريكا واوربا الغربية في البلاد العربية ونهب ثرواتها من البترول وغيره هو بالوقوف خلف اسرائيل واطلاقهـا تفعـل بالعرب ما تشاء ، وبلغت أمريكا وبلغت اوربا الغربية بل والعالم كله هذا التصور اليهودي وراحوا يرتبون حياتهم على اساسه .

ــ فالعرب قوم متخلفون .

ــ والعرب لا يمكن ان يرتفعـوا الى مستوى فهم التكنولوجيا الحديثة .

ــ والعرب لا يمكن ان يتحدوا .

ــ والعرب لا يمكن ان يستغنوا عن بيـع البترول للغرب ، ولو فرض انهم اقدموا على ذلك فليشربوه . وكانت كل هذه المبادىء ترتكز

على ما اعتبرته اسرائيل انه حقيقة لا تقبل الجدل وهي ان جيشها لا يقهر وسلاح طيرانها يستطيع ان يصل الى اعماق البلاد العربية وان يضرب وان يدمر ويحرق فيؤدب كل من تحدثه نفسه ان يخرج عن الطاعة ، طاعة اسرائيل اولا وامريكا ثانيا ، واوربا الغربية ثالثا . وراحت امريكا تتصرف على هذا الاساس — بالرغم من ان فيصلا راح يحذر امريكا وينذر انه باعتباره ملكا عربيا مسلما ، وانه بصفة خاصة قد باشر قضية فلسطين منذ يومها الاول في حياة ابيه التي بذل فيها جهودا مضنية ، وما عليك الا ان تقرأ كتاب «صقر الجزيرة» لتلم بطرف من هذه الجهود . ولطالما سمعت انا منه شخصيا قوله انه على استعداد ان يموت هو واولاده اذا كان في ذلك انقاذ لفلسطين ، ومات عبد العزيز قبل ان يشهد هذه النكبة ، ولكن فيصلا تجرعها ، وكان يزيد في عذابه ان امريكا التي يتعاون معها كل هذا التعاون هي حامية اسرائيل بل ومشجعتها على ارتكاب جرائمها ، فراح كما قدمنا يحذر وينذر فلم تأخذ امريكا تحذيره مأخذ الجد ، فقد تصورت ان الاعتماد عليها اصبح عنصرا طبيعيا من كيان السعودية ، اما ان تقف السعودية موقف المواجهة فضلا عن الخصومة بحظر تصدير البترول اليها .. فشيء يعد من المستحيلات .

ومع ذلك فقد اقدم فيصل وبقية امراء الجزيرة على هذا الذي اعتبر مستحيلا فحظر ارسال البترول الى الولايات المتحدة والى هولندا والى كل بلد يساند اسرائيل ، وفي ذات الوقت اعلن عن تخفيض انتاج البترول ٢٥٪ بصفة عامة تزاد كل شهر بنسبة ٥٪ وهو قرار اذا كانت الجزائر وليبيا تأخذ نصيبها من الفضل في اصداره فهو ما كان ليصدر على الاطلاق ، وحتى اذا صدر فما كان يمكن ان تكون له

فاعلية بغير السعودية في الدرجة الاولى (١) •

وزلزلت الارض زلزالها ،وفزعت اليابان ، وجثت اوربا الغربية على قدميها فأسرعت تعدل من سياستها ، اما امريكا فقد صعقت لحبوط سياستها بهذا الاسلوب المزري ، ولاول مرة في التاريخ يشعر الشعب الامريكي ان عليه ان يودع حياة الرفاهية وان يكتشف ان بعض مصيره يتوقف على السعودية ولم يكن امام امريكا الا ان تستعمل القوة وهي لا تعرف اين ينتهي بها استعمالها واي كوارث يمكـن ان تؤدي اليها ، او ان تغير لا اقول سياستها ، بل نظرتها للعرب وقـد تغيرت كلتاهما النظرة والسياسة وانا اقول ذلك لا لأن الامريكان يقولونه بل ان طبائع الاشياء تفرضه فرضا بعد ان ثبت ان جيش اسرائيل يقهر ، وهو مـا حدث في ٦ اكتوبر والايام التالية ؛ ولو لم تخف امريكا لنجدة اسرائيـل لقضي عليها • اما الحقيقة الثانية فهي ان مساندة اسرائيل ليست هي التي ستحافظ على مصالح امريكا بل ان هـذه المساندة هي التـي ستنتهي بتدمير كل مصالح امريكا •

وانا اكتب هـذه السطور الآن في مارس ١٩٧٤ وقد أصدرت دول شبه الجزيرة قرارا جديدا برفع الحظر عن البترول واعادة تصديره الى امريكا ، ومرة اخرى ما كـان هـذا القرار ليصدر لو ان فيصلا لـم يستعمل حكمته وقدرته السياسية لكـي يصدر • لقـد احدث سلاح البترول كل الاثر المطلوب منه ، واصبح الاستمرار في استعماله يؤدي الى عكس المطلوب • ان اي قوة في الطبيعة تتولد مـن المد والجزر ، والقبض والبسط والتخلي والتكاتف وهكذا • اما استمرارها في اتجـاه واحد فلا يحدث المطلوب ، فلو استمر الحظر لاعتاده الامريكان وبدأوا

---

(١) اعيذ اي قارىء من ان يتصور انني اقلل من فضل احد ، فللكويت ولبيت آلصباح الحاكم نصيب كبير من هذا النصر .

يرتبون انفسهم على اساسه كما هو الحـال بالنسبة لهولندا ولوقعـوا فريسة الدعاية اليهودية اكثر واكثر ، اما الآن وبعد ان ينعموا من جديد بنعيم البترول العربي فسيعملون كل ما فـي طاقتهم كي لا يقعوا في المحظور من جديد .

وهكذا عرف فيصل متى يشتد ومتى يلين .

مستقبل العرب :

والآن ولكي اختم هـذا الحديث عن فيصل ، لا مناص مـن ذكر بعض كلمات اتحدث فيها عن مستقبل العرب والاحتمالات العظيمة التي باتت متوقعة والتي سيذكر التاريـخ دائما انهـا بدأت بعد العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ (٦ اكتوبر ١٩٧٣) :

اولا : بعد ان كانت شركات البترول ترعد وتبرق وتهدد وهي وحدها التي تحدد سعر البترول ، أصبحت الآن لا حول لها ولا طول ، واصبح التأميم هو احد امانيها . كل الذي اصبحت تطمع فيـه ان يتدفق البترول وان تسمح البلاد العربية باستخراجه مـن باطن الارض بالقدر الكافي لابقـاء دورة الحيـاة في الدول الصناعية الكبرى منطلقة .

ثانيا : لم يعد يكفي البلاد العربية ثمنا لبترولها اوراق نقدية من اي نوع كان حتى ولو كانت ذهبا ، بل لا بد مـن المصانع وكل ضروب الانتاج الذي تحتاج اليه البلاد العربية .

ثالثا : لم يعد هناك مناص من استثمار اموال البلاد العربية في البلاد العربية نفسها او على الاقل الجزء الاكبر منها ، وهو ما من شأنه ان يعجل بازدهار العالم العربي .

رابعا : وسوف يؤدي ذلك كله الى الاستفادة بتكامل العـالم العربي بحيث يمكن القول انه خلال عشرين سنة اخرى مـن الآن سوف يكون العالم العربي ثالث قوة تؤثر في مصائر العالم .

وانا اعرف أنه ستكون هنـاك أزمـات وستكـون نكسات ولكن النتيجة النهائية ستكون في حدود ما قدمت . ان القرن الحادي والعشرين سوف يشهد قـوة العرب تساندهم قـوة افريقيـا ـ والحمد للـه رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنـا محمد المـولود في مكة والمدفون في المدينـة والذي بعثه الله في جزيرة العرب وأنزل عليـه قرآنا عربيا يتعبد به ٦٠٠ مليون في ارجاء العالم .

فهرست الكتاب

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

القسم الثاني

خاتمة

المكتبة العصرية للطباعة والنشر
صاحبها: شريف عبد الرحمن الانصاري صيدا - بيروت
تلفون: بيروت ٢٣٧٥٤٥ - صيدا ٧٢٠٣١٧ و ٧٢١٦١٢